المستطرفات

يشتمل على أشهى النوادر من أدبية وفكاهية
وغزلية وهو مذيل بنخبة مقالات
الشيخ نجيب الحداد

جامعه

ابراهيم زيدان

obeikandl.com

القسم الاول

في النوادر الادبية

سعيد بن ابي وقاص وبنت النعمان

لما نزل سعيد بن ابي وقاص الحيرة قيل له ههنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحرقة بنت النعمان بن المنذر . وكانت من اجل قبائل العرب . وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها الف قطيفة حرير وديباج ومعها الف وصيف ووصيفة . فأرسل اليها سعد فجاءت فقالت له : يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يحمل الينا خراجه ويطيعنا أهله مدة من المدد حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت شملنا — والدهر ذو نوائب وصروف . فلو رأيتنا في ايامنا لارتعدت فرائصك فزعاً منا . فقال لها سعد : ما انعم ما تنعمتم به . قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا دعونا . ثم انشأت تقول :

وبينا نسوس الناس والامر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة لبينا ننصفُ

فتباً لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرفُ

ثم قالت : يا سعد انه لم يكن اهل بيت خير الا والدهر يعقبهم غيره حتى يأتي امر الله على الفريقين . فأكرمها سعد وامر بردها . فلما ارادت القيام قالت : يا سعد لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى لئيم حاجةً ولا ازال عن كريم نعمة ولا ازال عن عبد صالح نعمة الا جعلك الله سبيلاً الى ردها عليه

﴿ سليمان بن عبد الملك والجارية ﴾

لبس سليمان بن عبد الملك افخر ثيابه وتطيب ونظر في مرآته فاعجبته نفسه وقال : انا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين . فقالت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى غير انْ لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير انك فاني

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى ماسمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه . فلما صار على فراشه قال للجارية : ما الذي قلتِ لي في صحن الدار . قالت مارأيتك ولا

قلت شيئاً وانيّ لي بالخروج الى صحن الدار . فقال : انا لله وانا اليه راجعون نُعيت اليّ نفسي . ثم عهد عهده واوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الاخرى الا وهو في قبره

﴿ احد الصيارفة والفقير ﴾

اجتمع الصيارفة بمصر على وزن الدنانير والذهب في الجامع لاجل السلطان . فقام فقير من زاوية المسجد فسألهم نصف درهم فما اعطوه . فلما خرجوا تركوا كيساً فيه خمسمائة دينار . فأخذه الفقير وتركه تحت التراب . فرجع صاحبه فقال : يا فقير تركت ههنا كيساً فيه خمسمائة دينار وما رأيته . قال بلى . واخرجه ودفعه اليه . ففتحه فاعطاه خمسين ديناراً . فقال الفقير لا اريدها . فقال صاحب الكيس : كنت تطلب نصف درهم فالآن ماتأخذ خمسين ديناراً . قال : كنت اطلب شيئاً على سبيل الاحسان . والآن لا آخذ شيئاً فاكون قد بعت ديني بدنياي

﴿ كرم سعيد بن العاص ﴾

سأل رجل سعيد بن العاص فقال لغلامه اعطهِ خمسمائة فمضى

الغلام ثم رجع اليه مستفهماً ديناراً ام درهماً . فقال ما كنت اردت الا دراهم اما اذ قد رجعت فصيرها دنانير . فجعل الرجل يبكي فقال له مايبكيك . قال ابكي على ان تأكل الارض مثلك

﴿ سعيد بن العاص والرجل ﴾

لما عزل سعيد بن العاص عن المدينة انصرف ليلةً من المسجد الى منزله وحده فرأى رجلاً يتبعه فقال له الك حاجة . قال لا ولكني رأيتك وحدك فوصلت جناحك فقال وصلك الله يا ابن اخي اطلب لي جلداً وادع لي مولاي فلاناً فأتاه به فكتب له صكا بعشرة آلاف درهم واشهد عليه مولاه بها وقال اذا جاءت غلتنا دفعنا اليك ذلك . فمات سعيد في تلك السنة فجاء الرجل بالصك الى ولده عمرو فامضاه واعطاه عشرة آلاف درهم

﴿ نصر بن سياد وابو الهندي ﴾

مر نصر بن سياد بابي الهندي وكان شريفاً في قومه وهو يميل سكراً فقال له افسدت شرفك . فقال ابو الهندي لولم افسد شرفي لم تكن انت والي خراسان

﴿ زياد الاعجم والمهلب ﴾

وفد زياد الاعجم على المهلب فاكرمه وانزله على ابيه فجلسا يوماً يشربان في بستان فنعقت حمامة على فنن فطرب لها زياد . فقال له حبيب انها فاقدة الف كنت اراه معها . فقال زياد وهو اشد شوقاً لها ثم انشد :

تغني انتِ في ذمي وعهدي وذمة والدي ان لا تضاري
وعشكِ اصلحيه ولا تخافي على زغب مصفرة صغارِ
فانك كلما غنيتِ صوتاً ذكرت احبتي وذكرت داري
فاما يقتلوك طلبتُ ثأرًا لانك يا حمامة في جواريـ

فضحك حبيب ثم قال ياغلام هلم القوس فجاء بها فنزع لها بسهم فاصابها فوقعت ميتة . فنهض زياد مغضباً وقال : اخفرت ابا بسطام ذمتي وقتلت جاري وشكاه الى المهلب . فغضب على حبيب وقال اما علمت ان جار ابي لبانة جاري وذمته ذمتي والله لالزمنك دية الحر واخذ له من ماله الف دينار

﴿ نعي المصحفي نفسه ﴾

قال المصحفي ينعي نفسه بهذه الابيات :

صبرت على الايام حتى تولت ... والزمت نفسي صبرها فاستمرت
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه ... وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فان طمعت ماتت والا تسلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس كوني كريمة ... فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

﴿ ذكرى الوليد بن زيدون ﴾

قال الوليد بن زيدون وقد هاج منه الوجد وتراءت لعينيه الظباء الاوانس :

خليليّ لا فطر يسر ولا اضحى ... فما حال من امسى مشوقاً كما اضحى
لئن شاقني شرق البلاد فلم ازل ... اخصّ بمحوض الهوى ذلك السفحا
ويهتاج قصر الفارسيّ صبابةً ... لقلبي لا يألو زناد الاسى قدحا
كأني لم اشهد لدى عين شهده ... نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى ... سفير خضوع بيننا اكد الصلحا
وايام وصل بالعقيق اقتضيته ... فان لم يكن ميعاده العيد فالفصحا
معاهد لذات واوطان صبوة ... اجلت المعلى في الاماني بها قدحا
هناك الحمام الزرق تبدي خفافها ... طلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من لطف القيان خلالها ... صدى فلوات قد اطار انكرى صبحا

﴿ محاسن الشمائل ﴾

قسم بعضهم محاسن الشمائل فقال : الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والجمال في الانف والحلاوة في العينين والملاحة في الفم والظرف في اللسان والرشاقة في القد واللياقة في الشمائل والبداعة في الجيد والدقة في الاطراف وكمال الحسن في الشعر

﴿ كرم الحسن بن علي ﴾

قيل للحسن بن علي بن ابي طالب لاي شيء نراك لا ترد سائلاً وان كنت في فاقة . فقال اني لله سائل وفيه راغب وانا استحي ان اكون سائلاً وارد سائلاً وان الله تعالى عودني عادة . عودني ان يفيض نعمهُ عليَّ وعودته ان افيض نعمهُ على الناس فاخشى ان قطعت العادة ان يمنعني المادة وانشد يقول :

اذا ما أتاني سائل قلت مرحباً بمن فضله فرض عليَّ معجلُ
ومن فضله فضل على كل فاضل وافضل ايام الفتى حين يُسئلُ

﴿ ابن ابي الحواري ورابعة الشامية ﴾

قال احمد بن ابي الحواري : كانت لرابعة الشامية احوال شتى فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب

عليها الخوف فسمعتها في حال الحب تقول :

حبيب ليس يعدلهُ حبيبُ وما لسواه في قلبي نصيبُ
حبيب غاب عن نظري وشخصي ولكن عن فؤادي مايغيبُ

وسمعتها في حال الانس تقول :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

وسمعتها في حال الخوف تقول :

وزادي قليل ما اراه مبلغي أللزاد ابكي ام لطول مسافتي
اتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك اين مخافتي

فقلت لها مرة وقد قامت بليل : ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك . قالت سبحان الله مثلك يتكلم بهذا انما اقوم اذا نوديت . فجلستُ على المائدة في وقت قيامها فجعلت تذكرني . فقلت لها دعينا نتهنا بطعامنا . فقالت ليس انا وانت ممن ينغص عليه الطعام عند ذكر الآخرة

حمدة بنت زياد

خرجت حمدة بنت زياد مرة للوادي مع حبيبة لها فرأت الازهار في جوانبه تتلألأ كأنها نجوم تساقطت من كبد السماء والماء في النهر يتماوج كأنه قطع من لجين ترمقه عيون ذكاء فاعجبها

ذلك المنظر البهج واحبت ان تخوض بذلك النهر اتماماً لترويح النفس خصوصاً لخلوة من الناس فنضت عنها الثياب وعامت ثم قالت :

اباح الدمع أسراري بوادي له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل أرض ومن روض يروق بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لامر وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها رأيتَ البدر في افق السواد
كأن الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالحداد

﴿ جليلة بنت مرة واهل كليب ﴾

كانت جليلة بنت مرة الشيباني وأخت جساس قد تزوجت بكليب . فلما قتل جساس اخوها كليباً زوجها اجتمع نساء الحي للمأتم فقلنَ لاخت كليب : اخرجي جليلة من مأتمك فان قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب . فقالت لها : يا هذه اخرجي عن مأتمنا فانت اخت قاتلنا . فخرجت وهي تجر أعطافها . فلقيها ابوها مرة فقال لها : ما وراءك يا جليلة . فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد جليل وقتل أخي عن قليل وبين ذلك غرس الاحقاد وتفتت الاكباد . فقال لها : او يكفُّ ذلك كرمُ الصفح

واغلاء الديات . فقالت جليلة امنية مخدوع ورب الكعبة ابالبدن تدع لك تغلب دم ربهـا . ولما دخلت جليلة قالت اخت كليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت ويلٌ غداً الآل مرة من الكرة بعد الكرة . فبلغ جليلة قولها فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها اسعد الله خيراً اختي افلا قالت نفرة الحياة وخوف الاعتداء ثم انشدت تقول :

يا ابنة الاقوام ان لمتِ فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انتِ تبينتِ الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي
ان تكن اخت امرئٍ ليمت على ... شغف منها عليه فافعلي
جلّ عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلى او ينجلي
فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدنٍ اجلي
لو بعين فديت عين سوى ... اختها فانفأقت لم احفل
تحمل العين اذى العين كما ... تحمل الام اذى ما تبتلي
يا قتيلاً قوض الدهر به ... سقف بيتيّ جميعاً من علِ
هدم البيت الذي استحدثته ... واثنى في هدم بيتي الاول
ورماني قتله من كثب ... رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزءٍ معضل
خصني قتل كليب بلظى ... واراني ولظى من اسفل
ليس من يبكي ليومين كمن ... دائماً يبكي ليومٍ ينجلي

يشتفي المدرك بالثار وفي دركي الثار لثكل المثكل
ليته كان رمي فاحتلبوا درراً منه برمي بالحلي
انني قاتلة مقتولة ولعلّ الله ان يرتاح لي

﴿ الكرم والبخل ﴾

قال اعرابي : خرجت في سفر فآواني الليل الى خيمة . فنظرت صاحبة الخباء اليّ فقالت : من الرجل . فقلت ضيف . فقالت وما يصنع الضيف عندنا ان الصحراء لواسعة . وجلست تاكل . فبينما هي كذلك اذا بزوجها اقبل ومعه لبن فقال : من الرجل . فقلت ضيف . فقال مرحباً بالضيف . فسقاني من اللبن وقال : لعلك لم تاكل شيئاً . فقلت لا والله . فدخل لزوجته مغضباً فقال : ويلكِ قد اكلتِ ولم تطعمي الضيف فقالت وما اصنع به والله لا اطعمه من طعامي . فطال بينهما الكلام فضربها فشجّ راسها . ثم خرج الى ناقتي فذبحها واوقد نارًا وشوى منها واكل واطعمني وقال : والله لا يبيت ضيفي عندي جائعاً . ثم مضى عني وتركني ثم عاد بعد ذلك ومعه ناقة يستحي الناظر اليها ان يسومها لحسنها وقال لي : خذ هذه في ناقتك . فاخذتها ومضيت عنهُ فآواني الليل الى خيمة اعرابي فنظرت صاحبة الخباء اليّ وقالت : من الرجل . فقلت ضيف . فقالت اهلاً بالضيف ومرحباً . وعمدت

الى طعام فوضعته بين يديّ ومعه دجاجة مشوية وقالت لي : كل واعذر على ما وجد عندنا . فبينما انا آكل واذا بزوجها حضر فقال : من الرجل . فقلت ضيف . فقال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل الى زوجته فقال : اين طعامي . فقالت قدمته للضيف . فقال ومن امرك باطعام الضيف . وطال بينهما الكلام فضربها فشج رأسها . فجعلت اضحك . فخرج اليّ وقال : ما يضحكك . فقصصت عليه قصتي بالامس . فقال يا هذا تلك المرأة اختي وذاك الرجل اخو زوجتي هذه . فزاد تعجبي من ذلك

﴿ محمد بن عبد الله وام جعفر ﴾

قال محمد بن عبد الله الهاشمي : دخلت يوم عيد الاضحى على والدتي فرأيت عندها امرأة رثة الثياب . فقالت لي امي اتعرف هذه . فقلت لا . فقالت لي هذه عتابة ام جعفر البرمكي . فسلمت عليها ثم قلت حدثيني ببعض امرك . فقالت لي : اذكر لك جملة فيها عبرة لمن يعتبر . لقد دخل عليّ يوم عيد مثل هذا وعلى رأسي اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ولدي جعفرًا عاقٌّ لي . وقد اتيتكم اليوم وانا اسألكم في جلدَي شاة اجعل احدهما شعارًا والآخر دثارًا فدفعت لها خمسمائة درهم وامرتها بالتردد الينا الى ان يفرق الموت بيننا . ففعلت ذلك رحمها الله تعالى

﴿ جعفر وصاحب الهميان ﴾

كان رجل نائماً في المسجد ومعه هميان . فانتبه فلم يجد هميانه ورأى جعفر الصادق يصلي فتعلق به . فقال له : ماشأنك . فقال قد سرق همياني وليس عندي غيرك . فقال وكم كان في همیانك فقال الف دينار . فمضى جعفر الى بيته واتاه بالف دينار ودفعها اليه . فذهب الرجل الى اصحابه فقالوا له : همیانك عندنا وقد مازحناك . فعاد الرجل بالدنانير وسأل عن الذي اعطاها له . فقيل له فلان . فذهب اليه ودفعها له . فلم يقبلها وقال : انا اذا اخرجنا شيئاً من ملكنا لا يعود الينا

﴿ ابن المعتمر ومخارق والجارية ﴾

قال سيار بن المعتمر : زرت مخارقاً وكنت اهوى جاريته (معين) : وكانت اديبة فصيحة . فاخرجها وجعلت تغني وطرفها يضحك فتوهمت حبها لي فبقيت في لذة من غنائها لا توصف . فلما قرب وقت الانصراف دخلت ثم خرجت وعليها عصابة فيها مكتوب :

تبسم طرفي فاستهام فؤاده
الى ضحك عين صيرته له سحرا
الا ان حسن الطرف ما كان ضاحكاً
فلا يوهمنك الضحك في مقلتي امرا

فاختلط عقلي وتمرمر ما كان حلا لي فيها . فلما رأت ماقد نزل بي قلبت العصابة فاذا عليها مكتوب :

مزحت فلا تجعل مزاحي علة ... لصرف الهوى عني فتجعله هجرا
منحتك من قلبي مكاناً مكرما ... عليك فلا تأسي وكن عاشقاً حرا

﴿ أنس بن زنيم وعمرو بن عبد الله ﴾

وفد أنس بن زنيم الهدلي على عمرو بن عبد الله السميجي في جماعة من الشعراء . فصده الحاجب عن الدخول واذن لغيره من الشعراء . فلما طال احتجابه كتب اليه ابياتاً منها :

لقد كنت اسعى في هواك وابتغي ... رضاك واعصى اسرتي والادانيا
حفاظاً وامسا كاً لما كان بيننا ... لتجزيني يوماً فما كنت جازيا
اراني اذا ما شمت منك سحابة ... لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا
أأقصى ويدنى من يقصر رأيه ... ومن ليس يغني عنك مثل غنائيا

فلما قرأ الابيات عنف حاجبه ثم قال له : ويحك ماهذا . قال فعل حاجبك وطول مقامي وانت تعطي من اقبل وادبر . فقال يا هذا الك من يد تضربني بها او تستحق بها على ماطلبت قال نعم كنت اجلس بين يديك واسمع حديثك فانشر محاسنه واطوي مساوئه . فقال وابيك . ان في هذا لما يشكر . كم اقمت بالباب قال اربعين يوماً . فامر له باربعين الف درهم

﴿ محمد بن الجهم وسعيد بن العاص ﴾

عرض محمد بن الجهم داراً بخمسين الف درهم . فلما حضروا ليشتروا قال : بكم تشتروا مني جوار سعيد بن العاص . وكان بجواره . فقالوا وهل يباع الجوار . فقال وكيف لا يباع ويفرد بثمن وهو جوار من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان اسأت احسن اليك . فبلغ ذلك سعيداً فوجه اليه بمائة الف درهم وقال : امسك عليك دارك

﴿ سليمان والرجل ﴾

جاء رجل الى سليمان عليه السلام وقال : يانبي الله ان لي جيراناً يسرقون اوزي ولا اعرف السارق . فنادى سليمان الصلاة جامعة . ثم خطب فيهم قائلاً : ان احدكم يسرق اوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه . فمسح الرجل السارق رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم

﴿ ابن عبيد الله وامرأة جاره ﴾

كان رجل جاراً لابن عبيد الله . فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل اكثرهم عنها . فعزم جار عبيد الله على

الخروج من البلاد . وكانت له زوجة لا تقدر على السفر . فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له : اذا سافرت من ينفق علينا . قال ان لي على عبيد الله ديناراً معي به اشهاد شرعي عليه فخذي الاشهاد وقدميه له فاذا قرأه انفق عليك بما عنده الى ان احضر . ثم ناولها ورقة كتب فيها ابياتاً من الشعر وسافر عنها . ثم ان المرأة بعد ايام مضت الى ابن عبيد الله وحكت له ماقال زوجها واخبرته بسفره وناولته الرقعة . فقرأ واذا فيها هذين البيتين :

قالت وقد رأت الاحمال سائرة والبين قد جمع المشكوّ والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها الله وابن عبيد الله مولاكِ

فقال صدق زوجك وما زال ينفق عليها ويوصلها البر والاحسان الى ان قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه

﴿ الاصمعي والاعرابي والمرأة ﴾

قال الاصمعي دخلت البادية ومعي كيس وفيه دراهم ودنانير فاودعته امرأة منهم ومضيت لاسعاف حاجة لي . فلما جئت اليها وطلبت الكيس منها انكرت فاتيت بها الى شيخ من الاعراب فاستمرت على انكارها . فقال الشيخ الاعرابي : قد علمت انه ليس عليها الا اليمين . فقلت كانك لم تسمع قوله تعالى :

فلا تقبل لسارقة يمينا وان حلفت برب العالمينا

قال الاعرابي صدقت . ثم تهددها فاقرت وردت الكيس اليه ثم التفت الشيخ وقال لي : في اي سورة هذه الآية افدنا اذا اردت فقلت له في سورة :

الا جودي بوصلك واصبحينا ولا تبغي وصال الناقصينا

فقال سبحان الله لقد كنت اظن انها في سورة : انا فتحنا لك فتحاً مبيناً

﴿ كرم ابو دلف قبل الوفاة ﴾

قال ابو العباس الشيباني : لما مرض ابو دلف بالعلة التي مات بها اقام شهراً ملازماً الوساد . فافاق يوماً فقال لخادمه بشر : يا بشر كم لي على هذه الحالة . قال شهراً . فبكى وقال : عبر عليّ من عمري شهر لا ابرئ فيه احداً من الناس . يا غلام اخرج الى الباب فان قلبي يشهد ان بالباب قوماً لهم الينا حوائج فلا تمنع احداً من الدخول . فخرج بشر فاذا عشرة من اولاد ابي طالب فأمرهم بالدخول فدخلوا فابتدره رجل منهم فقال : اصلحك الله نحن قوم من بني ابي طالب احاطت بنا المصائب واحجفت بنا النوائب فان رأيت ان تجبر كسرنا وتغني فقرنا . فعجل فقال للخادم : خذ بيدي واجلسني ففعل . فقال ليأخذ كلٌّ رقعةً بيده وليكتب بخطه انه قبض مني مائة الف درهم فتحيروا عند قوله . فلما كتبوا الرقاع

وضعوها بين يديه . فقال لخادمه : عليَّ بالمال فاحضره فاعطى كل واحد منهم مائة الف درهم . فلما تسلموا المال قال رجل منهم بالآباء نفديك وبالامهات نقيك والله مالنا مال ولا عقار فخطوطنا عندك ما تصنع بها فبكى وقال لهم : أتظنون انها وثائق عليكم لا والله . ثم قال لخادمه : يا بشر اذا انا مت فاجعل هذه الرقاع في اكفاني حتى القى بها الله في عرصات القيامة ثم قال لخادمه : ايصل كل واحد منهم بالف دينار . لنفقة طريقه

﴿ امانة محبين ﴾

وردت قافلة من الروم الاقصى الى بغداد وفيها جوارٍ وعبيد . وكان بين جارية منها وبين عبد من العبيد محبة لا مزيد عليها . فجعلا يفكران في امرهما اذا فرق بينهما مولاهما عند البيع فاتفق ان الخليفة اشتراهما واختصهما لنفسه واحب الجارية حباً شديداً . فاختار لها مقصورة من أحسن المقاصير وبنى لها قصراً وساق فيه من كل شيء نفيس . وغابت الجارية عن نظر الخادم . فجعل يذوب في ثيابه من النحول . ومن شدة ما عراه من الهيام دخل القصر الذي هي نائمة فيه فوجدها جالسة ومولاها الى جانبها . فلما رأته تحدرت دموعها على خدها وقالت

حيّ ضيفاً من الاحبة زارا بعد ما صرع الكرى السحارا
قال ما بالنا جفينا وكنا قبل ذاك الاسماع والابصارا
قلت قد كان ذاك منا ولكن شغل الحي اهله ان يعارا

واشارت الى سيدها فانتبه وقال ويلك ما الذي جاء بك . قال احب قال ومن تحب . قال هذه الجارية . فقال لها اصدقيني والا قتلتكما شر قتله قالت اينفع الصدق . قال نعم . فقصت عليه القصة من اولها الى آخرها . فقال : والذي نفسي بيده لاسلبنكما الحياة . قالت برأسك العزيز يا سيدي الاّ بدأت بي حتى اموت قبله لكي لا انظر حبيب قلبي قتيلاً . وقال الخادم مثل قولها . فعجب الخليفة من امرهما وتسابقهما على الموت ففكر ساعة ثم رفع رأسه وقال : انتما حرّان لوجه الله تعالى ولن اكون سبب فرقة بين محبين والمقصورة بما فيها لكما وزوّجها منه

﴿ حب الضيافة ﴾

قال بعض الصالحين : رأيت على باب دار من دور أهل مصر مكتوباً :

مسكنٌ هذا لمن حله نحن سوائح فيه والطارقُ
فمن أتانا فيه فليحتكم فانه في حكمه صادقُ

لا يجد الفاقة من زارنا فربنا المانح والرازقُ

وكنت جائعاً فدخلت فاذا انا بمائدة منصوبة عليها من جميع اطعمة مصر . فجلست واكلت حتى شبعت . فخرجت جارية سوداء وصبت على يدي الماء فدعوت لها فقالت : لا تدعُ لنا فان الدعاء عوض والمحسن لا يرضى بالعوض اذا اطعمناك ودعوت لنا فالفضل لك لا لنا . فعجبت لكلامها وسألت بعض الناس عن هذه الدار . فقالوا لغلام يتيم اوصاه والده بهذا فان غفل عن الطعام يوماً او ليلة اغتمّ فاذا نظر الى المائدة ووجد عليها الاطعمة كما كانت في سائر الايام انشرح صدره

﴿ ابو يعقوب الكوفي والرجل ﴾

قال ابو يعقوب الكوفي : حججت ذات سنة فاذا أنا برجل عند البيت وهو يقول « اللهم اغفر لي ولا اراك تفعل » . فقلت : يا هذا ما اعجب يأسك مما عند الله تعالى . قال ان لي ذنباً عظيماً . قلت اخبرني بقصتك . قال كنت مع محمد بن يحيي بن محمد بالموصل فأمرنا يوم جمعة فاعترضنا المسجد فنودي « انا قتلنا فيه ثلاثين ألفاً » . ثم نادى مناد « من علق سوطه على دارٍ فالدار وما فيها لهُ » . فعلقت سوطي على دار ثم دخلتها فاذا برجل وامرأة

وابنين لها فقتلت الرجل ثم قلت للمرأة : هاتي ما عندكِ والا الحقت ابنيكِ به . فجاءتني بسبعة دنانير . فقلت هاتي ما عندكِ . قالت ما عندي غير هذا . فقدمت احد ابنيها فقتلته . ثم قلت هاتي : ما عندكِ والا الحقت الآخر به . فلما رأت مني الجد قالت : ارفق فان عندي شيئاً كان قد اودعني اياه ابوهما . فجاءتني بدرع مذهبة لم أرَ في حسنها مثيلاً . فجعلت اقلبها فاذا عليها مكتوب بالذهب :

اذا جار الامير وحاجباه ... وقاضي الارض داهن في القضاء
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ ... لقاضي الارض من قاضي السماء

فسقط السيف من يدي وخرجت على وجهي هائماً كما ترى

﴿ ابن المبارك والامرأة ﴾

قال عبد الله بن المبارك : اردت الحج فقمت وشددت على وسطي كيساً فيه خمسمائة دينار وخرجت الى السوق لاشتري ابلاً للحج . فلم يقع في يدي ما يصلح للطريق . فرجعت الى منزلي فرأيت في الطريق امرأة جالسة على الارض وقد اخذت دجاجة ميتة وهي تنتف ريشها من حيث لا يشعر بها احد فوقفت قريباً منها وقلت : لمَ تفعلين هذا يا أمة الله . فقالت : امضِ في شأنك واتركني . قلت سألتك بالله الا ما اعلمتني بحالكِ . فقالت اعلم

انني امرأة علوية ولي ثلاث بنات صغار وقد مات كبيرنا ولنا ثلاث ليالٍ بايامهنّ عل الطوى لم نطعم شيئاً وقد خرجت عن بناتي وهنّ يتضورنّ جوعاً لالتمس لهنّ شيئاً فلم يقع بيدي غير هذه الدجاجة الميتة فاردت اصلاحها فقد حلت لنا الميتة . فلما سمعت ما قالت وقف شعري واقشعر جلدي وقلت في نفسي « يا ابن المبارك اي حج اعظم من هذا » . فقلت لها : ايتها العلوية ان هذه الدجاجة قد حرمت عليكِ افتحي حجركِ حتى اعطيك شيئاً من النفقة . ثم حللت الكيس وصبت الدنانير في حجرها بأجمعها . فقامت مسرورةً ثم دعت لي بخير . فرجعت الى منزلي ونزع الله ارادة الحج من قلبي فلزمت منزلي واشتغلت بالعبادة وخرجت القافلة الى الحج

شهيدة الغرام

علقت فتاة من العرب بفتى من قومها . وكان الفتى عاقلاً فاضلاً . فجعلت تكثر التردد اليه وتسأله عن امر من امور الدنيا وما في قلبها الا النظر اليه واستماع كلامه . فلما طال ذلك عليها مرضت وتغيرت . فرأته يوماً فعرضت له ببعض الامر فصرفها ودفعها عنه . فتزايد عليها المرض حتى سقطت على الفراش . فقالت لهُ امه : ان فلانة قد مرضت ولها علينا حق . قال فعوديها وقولي لها : يقول لكِ ماخبرك . فسارت اليها امهُ فقالت لها : مابكِ . قالت

وجع في فؤادي هو اصل علتي . قالت فان ابني يقول لك : ما علتك . فتنفست الصعداء وقالت :

يسائلني عن علتي وهو علتي عجبت من الانباء جاء به الخبر

فانصرفت امه اليه فاخبرته وقالت له : قد كنت احب ان تسألها المسير الينا لنقضي حقها او نفي خدمتها . قال فسليها ذلك . قالت قد اردت ان افعله ولكن احببت ان يكون على رأيك . فمضت اليها فذكرت لها ذلك عنه . فبكت وقالت :

يساعدني من قربه ولقائه

فلما اذاب الجسم مني تعطفا

فلست بآتٍ موضعاً فيه قاتلي

كفى بي سقاماً ان اموت كذا كفى

فالحت عليها فأبت وترامت بها العلة وتزايد المرض حتى ماتت

﴿ عيسى بن القابسي وعائشة بنت المعتصم ﴾

كان عيسى بن القابسي يهوى جارية عائشة بنت المعتصم وكان لا يطيق عنها صبراً وكانت هي كذلك فاذا وجدت غفلة من مولاتها خرجت اليه . فاطلعت عائشة على ذلك فعاقبتها وحجرت عليها فاشتد وجد عيسى وطال عليه الفراق فشكا الى بعض اصحابه الذين

يطلعون على امره . فقال له صاحبه ان عائشة بنت المعتصم كريمة اصل ذات مروءة وهي شاعرة اديبة فاضلة ظريفة تحب اهل الفضل والادب فلو اهديت لها ابياتاً من الشعر لكان ذلك يعجبها فلعلها تجيبك الى ما علمت منك . فرجع الى بيته واهدى لها شيئاً وكتب يقول :

كتبت اليكِ ولم احتشمْ وشوق المحبين لا ينكتمْ
وانسي يتم بمن قد علمتِ فان غاب عن بصري لا يتم
فمني عليَّ بها وارحمي بتربة والدك المعتصم

فلما قرأت ابياته ضحكت وقالت : والله لقد تحيرت في امر هذا الرجل . ثم قالت لبعض الخدم . خذها وامض بها اليه وكتبَ جوابه :

اتاني كتابك فيما ذكرت وما انت عندي بالمتهمْ
فخذها اليك كما قد طلبت على الرغم من انف من قد رغم

المبرد وعبد الله بن نصر والجارية

قال ابو العباس المبرد : دخلت يوماً على عبد الله بن نصر فرأيته جالساً في بستان داره على سرير من العاج وبين يديه جارية حسناء يخجل البان قدها . فلما استقر بي المجلس تقدمت الي وصيفة ووضعت بين يديَّ المدام . ثم قال للجارية غني . فاندفعت

تقول :

ليس يجري على لساني شيءٌ شهد الله لي سوى ذكرا كا
ذاك ان الفؤاد قد صار مني مذ جرى الود بيننا مأوا كا

فصرخ عبد الله صرخة عظيمة وخر مغشياً عليه ثم افاق فأنشأت تقول :

اذا هام قلبي لم اجد من يرده الى غير ذكراكم وموتي في الذكر
واطمعه في الوصل مني تعللاً وان كنت منه آئساً آخر الدهر
فكم عبرة في جنح ليل سفحتها وكفي على خدي الى وضح الفجر
افكر ما يجري اليك وما الذي ازالك عما قد عهدت ولا ادري

ثم التفت الي عبد الله وقال لي : اتدري من هذه الجارية يا أبا العباس . قلت لا . قال هذه طرفة وانا كلف لا اجد عنها بدًّا ولا صبرًا وهي كذلك . ثم نظر اليها وقال : غني يا طرفة فغنت :

فلو أن شرق الارض بيني و بينكم وقومي وراء الشمس حين تغيبُ
لوافيتكم اطوي السباسب بينكم وقال الهوى لي انه تقريب

قال المبرد ولم ازل ذلك اليوم في اطيب عيش الى الليل ثم انصرفت الى منزلي

﴿ حلم قيس بن عاصم ﴾

قال الاحنف بن قيس . لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم : بينا ابي جالس معه في فناء وهو يحدثنا اذ جاز جماعة يحملون قتيلاً ومعهم رجل مأمور . فقيل له هذا ابنك قتله اخوك فوالله ماقطع حديثه حتى فرغ من كلامه وانشد

وتمثلت حيث كنت لعيني فهي ان غبت او حضرت تراكا
ليس تخلو جوانحي منك وقتاً فهي دوماً مشغولة بهواكا

﴿ جارية بن ابي طالب و لخياط ﴾

كان لعلي بن ابي طالب جارية تتصرف في حوائجه فكلما خرجت تصدى لها خياط كان بقرب دار علي وقال لها « والله اني احبك لله » . فلما اكثر من ذلك شكته الى علي . فقال لها علي . اذا قال لك مرة اخرى فقولي له والله اني احبك ما الذي تريد . فعاد فقال لها ذلك . فقالت له وانا والله احبك فيه . فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . فرجعت الجارية واخبرت مولاها فدعا الامام علي بالخياط فوجد امره صحيحاً فوهبها له مع نفقة يستعين بها

﴿ الحمال والوجل ﴾

استأجر رجل حمالاً ليحمل لهُ قفصاً فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها . فلما بلغ ثلث الطريق قال : هات الخصلة الاولى . فقال : من قال لك ان الجوع خير من الشبع فلا تصدقه قال نعم . فلما بلغ نصف الطريق قال هات الثانية . فقال من قال لك ان المشي خير من الركوب فلا تصدقه . قال نعم . فلما انتهى الى باب الدار قال هات الثالثة . فقال من قال لك انه وجد حمالاً اجهل منك فلا تصدقه . فرمى الحمال بالقفص فكسر جميع القوارير وقال : من قال لك انه بقي في القفص قارورة فلا تصدقه ابداً

﴿ دعاء ابن الراوندي ﴾

اشترى ابن الراوندي يوماً قليلاً من الدقيق فوضعه في طرف ردائه وشده بخيط ومشى . وفيما هو يمشي في الطريق اذ خطر بباله ضيق الوقت عليه وتراكم المحن والشدائد فدعا الله تعالى وقال : يارب حل مشكلي . واكثر من الدعاء . فبينما هو يدعو واذا بالخيط قد انحل فانكب الدقيق على الارض واختلط بالتراب فقال : يارب هذا حل المشكل تركتني وعيالي اليوم نسأل الناس الخبز

﴿ الشيخ ابو حفص والطواف ﴾

قال ابو ذر: كنت اقرأ على الشيخ ابي حفص عمر بن احمد ابن شاهين ببغداد جزءًا من الحديث في حانوت بائع عطر . فجاء رجل طواف بحانوت يحمله بين يديه واعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الي اشياء سماها من العطر . فأخذها في طبقه ومشى فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه . فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه . فقال ابو حفص لصاحب الحانوت : لعلك تجد لنا بعض هذه الاسباب . قال نعم : فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له مانقص واقبل الشيخ على الطواف ليصبره ويقول له : لا تجزع فأمر الدنيا ايسر من ذلك . فقال الطواف : اتظن ايها الشيخ ان جزعي لضياع ماضاع . لقد علم الله متى كنت في القافلة الفلانية فضاع لي همیان فيه اربعة آلاف دينارا لشك من ابي ذر ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعها ولكن ولدلي هذه الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ماتحتاج اليه النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشفقت ان اشتري بها حوائج النفساء فابقى بغير رأس مال ولا اقدر على التكسب فقلت اشتري بها شيئًا واطوف صدر نهاري فعسى ان استفضل شيئًا اسد به رمقي ويبقى رأس المال انصرف فيه . فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندي

مال ارجع به اليهم ولا ما اكتسب به وعلمت انه لم يبقَ لي الا الفرار منهم وتركهم على هذه الحال يهلكون بعدي . فهذا الذي اوجب جزعي . وكان رجل من الجند جالساً على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ ابي حفص : انا ارغب اذا تممتم امره ان تدخل معه عندي . وقام فقلنا انه يريد ان يعطيه شيئاً . فدخلنا عليه فأذن لنا . فقال الجندي للطواف : عجبت من جزعك فأعاد عليه القصة . فقال الجندي : وكنت في تلك القافلة . قال نعم وكان بها من عظام الناس فلان وفلان . فعلم الجندي صحة قوله فقال له : وما علامة الهميان وفي اي موضع سقط منك . فوصف المكان والعلامة . فقال له الجندي : لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فأخرج الجندي هميانًا ووضعه بين يديه . فقال هذا هميانى وعلامة صحة قولي ان فيه من الاحجار ما صفته كذا وكذا . ففتح الهميان فوجد الاحجار على ما ذكر . فقال الجندي : خذ مالك بارك الله لك فيه . فقال الطواف : هذه الاحجار قيمتها مثل الدنانير او اكثر فخذ انت الدنانير فنفسي طيبة بذلك فقال الجندي : لا آخذ على أمانتي شيئًا . فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء . فبكى الجندي بكاءً شديدا وتعجب . فقال له ابو حفص علامَ تبكي وقد ادى الله اماناتك وبذل لك مالاً كثيرًا وان شئت عرضنا عليه ان يعيده عليك . فقال ما ابكي لذلك وانما ابكي

لانني اعلم انه قد حان اجلي فانه ما كان بقي امل أؤمله ولا امنية اتمناها الا ان يأتيني الله بصاحب هذا المال فيأخذه . فلما قضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبقَ لي أمل علمت انه قد حان اجلي . فما انقضى عليه شهر حتى مات وصلي عليه

﴿ ابراهيم الخليل وذبيحته ﴾

روى وهب بن منبه ان الله تعالى وهب لابراهيم ولده اسحق . فلما كان ابن سبع سنين اوحى الله تعالى الى ابراهيم ان يذبحه وان يجعله قرباناً فكتم ابراهيم ذلك عن اسحق وامه وجميع الناس واسرّه الى خليل له يقال له اليعازر فقال له : ان الله سبحانه رفع اسمك في الملأ الأعلى على جميع اهل البلاء حتى كنت ارفعهم بليةً ليرفعك الله بقدر ذلك في المنازل والفضائل . وقد علمت ان الله تعالى لم يقبلك ليفتنك ولا ليضلك فلا يسوأنّ بالله ظنك واعوذ بالله ان يكون ذلك حكماً مني على الله تعالى او سخطاً بحكمه الذي حكم على عباده ولكن هذا حسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك فكن عند احسن علمه بك ولا حول ولا قوّة الا بالله العلي العظيم . فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واسند له رأيه وبصيرته وانطلق باسحق . فلما صعد الجبل ومعه السكين والحبل واداة القربان قال له اسحق : يا ابتي أرى معك اداة القربان ولا أرى قرباناً . قال

ابراهيم : يابني بعين ربك ينظر اليه وان شاء رحم اباك . فلم يفطن اسحق . فلما وافى رأس الجبل قال ابراهيم : يابني ان الله تعالى امرني ان اذبحك واجعلك قربانًا يرفعك اليه ويتقبلك فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر . فقال له والده : لقد فجعتك يا بنيّ بأمر ما فجع به والد ولده واني لا أرى من سرورك بذلك وشكرك لربك أمرًا ارجو به العافية والفرج . فقال يا أبتِ لم يكن شيء من الدنيا أحب الي من البرّ بك وبأمي وقد حرمنيه ربي فاذا اردت ذبحي فاشدد وثاقي فاني اخاف حين يفارقني عقلي واجد الم الحديد ان يتحرك عضو فيؤذيك وانا اكره ان اختم بذلك عملي فاذا فرغت من امري فاقرئ أمي السلام وقل لها : لا تجزعي فقد اكرم الله ابنك في جنانه . فلما فرغ من وصيته عمد ابراهيم اليه فشد وثاقه ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كي لا تدركه له رحمة وبينا هو عامد الى ذبحه قربانًا لله تعالى اذ سمع قائلاً يقول : يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فداء ابنك قد فداه الله لك به . فنظر ابراهيم فاذا بكبش خلفه قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة . فوجهه ابراهيم الى القبلة وذبحه بدلاً من ابنه

﴿ القاتل واحد الجزارين ﴾

أراد احد الجزارين ذبح كبش فألقاه ليذبحه فأفلت منه وذهب فقام الجزار يطلبه وجعل يمشي الى ان دخل خربة فاذا فيها رجل مذبوح يختبط في دمه . ففزع وخرج هاربًا واذا صاحب الشرطة والرجالة عندهم خبر القتيل وجعلوا يطلبون خبر القاتل فأصابوا بيده السكين تقطر دمًا والرجل مقتول بالخربة فقبضوه وحملوه الى السلطان ليقتل . فأخرج للقتل واجتمع الامم ليبصروا قتله فلما هموا بقتله اندفع رجل من الحاضرين فقال لهم : لا تقتلوه أنا قاتل القتيل . فقبض عليه وحمل الى السلطان فاعترف به وقال : أنا قتلته . فقال له السلطان قد كنت معافى من هذا فما حملك على الاعتراف . قال : رأيت هذا الرجل يقتل ظلمًا فكرهت ان القى ربي بدم رجلين . فأمر به السلطان فقتل . ثم قالوا للرجل : يا أيها الرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل وانت بريء . قال الرجل فما حيلتي رأوني جاريًا من الخربة وبيدي سكين حجبتها الدماء فأخذوني فان انكرت من يقبلني وان اعتذرت من يعذرني . فخلى سبيله وانصرف مكرمًا

﴿ مروءة كريم ﴾

قصد احدهم صديقاً فدق عليه الباب . فلما خرج قال : ما حاجتك . قال ار بعمائة درهم عليّ دين . فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار باكياً . فقالت له امرأته : هلا تعللت حين شقت عليك الاجابة . قال : انما أبكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي

﴿ ابو مرشد والشاعر ﴾

مدح شاعر ابو مرشد الكريم . فقال : ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادّع عليّ بعشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركونني مسجوناً . ففعل ذلك . فلم يمسوا حتى دُفع اليه عشرة آلاف درهم

﴿ صورة ما كتب على احد القصور ﴾

قال بعض الرواة : دخلت مدينة يقال لها ذفار . فبينما انا اطوف في خرابها اذ رأيت مكتوباً على قصر خرب :

يا من المّ عليه الهم والفكرُ وغيرت حاله الايام والغيرُ
اما سمعت بنا قد قيل في مثل عند الايابس فأين الله والقدرُ
ثم للخطوب اذا احداثها طرقت واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا

فكل ضيق سيأتي بعده سعةٌ وكل فوتٍ وشيك بعده الظفرُ

﴿ حلم قيس بن عاصم ﴾

قال الاحنف بن قيس : لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري — بينما أبي جالس معه في فناءه وهو يحدثنا اذ جاز جماعة يحملون قتيلاً ومعهم رجل مأسور . فقيل له هذا ابنك قتله أخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حيوته حتى فرغ من كلامه وأنشد

أقول للنفس تأنيباً وتعزيةً احدى يديّ اصابتني ولم يردِ
كلا هما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

ثم التفت الى بعض وُلدهِ وقال : قم فاطلق عمك ووارِ أخاك وسق الى امه مائة من الابل فانها غريبة

﴿ الضيف واحد الانصار ﴾

قال ابو هريرة . جاء رجل الى النبي (صلعم) فقال . يارسول الله اني جائع فاطعمني . فبعث النبي الى ازواجه فقلن والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء . فقال له : ما عند رسول الله مايطعمك الليلة . ثم قال من يضيف هذا الليلة رحمه الله . فاضافه رجل من الانصار وقال لامرأته هذا ضيف فاكرميه ولا تدخريه

عنده شيئاً . فقالت ما عندنا الا قوت الصبية قال قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم اسرجي وابرزي فاذا اخذ الضيف يأكل قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي نضغ السنتنا لهذا الضيف الكريم . فقامت وجعلا يضغان السنتهما والضيف يظن انهما يأكلان — وباتا طاويين حتى النهار

عبد الله بن جعفر واهل مكة

لما حج عبد الله بن جعفر نزل مكة ليلاً فلما اصبح قال : يا أهل مكة عرفنا اخياركم من اشراركم في ليلة واحدة . قالوا وكيف ذلك قال نزلنا ومعنا أخيار واشرار فنزل اخيارنا على أخياركم واشرارنا على اشراركم فعرفناكم

الحجاج وأحد اهالي اليمن

قال بشر بن السري بينما الحجاج جالس عند الحجر اذ دخل رجل من اهل اليمن فجعل يطوف . فوكل به بعض من معه فقال . اذا خرج من طوافه فائتني به . فلما فرغ من طوافه اتاه به . فقال له ممن أنت . قال من اهل اليمن . قال اقلك علم بمحمد بن يوسف قال نعم . قال فاخبرني عنه . قال لقد تركته ابيض سميناً عريضاً طويلاً . قال ويلك ليس عن هذا أسألك . قال فعمّ . قال عن سيرته وطاعته . قال ردي، السيرة واعدى عداء الله على احكامه .

نغضب الحجاج وقال . ويلك اما علمت انهُ أخي . قال بلى افعلمت ان ربي هو امنع لي منك اكثر منك لاخيك . قال اجل دعهُ ياغلام

﴿ الامام علي وفاطمة ﴾

لما رأى الامام علي فاطمة مسجاة بثوبها بكى حتى رثى لهُ ثم قال

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وان الذي دون الممات قليلُ
أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليلُ
وان افتقادي واحدًا بعد واحد
دليلاً على ان لا يدوم خليل

﴿ ابو دلف والرجل ﴾

دخل رجل على ابي دلف فقال لهُ . انسأل وجدك يقول :

ومن يفتقر منا يعش بحسامهِ
ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فقال نعم ومضى فلقي وكيلاً لابي دلف فسلبهُ مالهُ فاتصل الخبر بابي دلف فقال : أنا الذي علمتهُ هذا فدعوهُ

﴿ الحجاج والمرأة ﴾

قال الحجاج لامرأة من الخوارج : اقرئي شيئًا من القرآن . فقرأت : « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجًا » . فقال ويحكِ يدخلون . قالت قد دخلوا وانت تخرجهم

﴿ يونس والخليل ﴾

كان يونس يختلف الى الخليل يتعلم منهُ العروض فصعب عليهِ تعليمهُ فقال الخليل يومًا : من اي بحر قول الشاعر :

اذا لم تستطع شيئًا فدعهُ وجاوزه الى ما تستطيع

فنطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض

﴿ سعيد بن سلم وابن المقفع ﴾

قال سعيد بن سلم : قصدت الكوفة فرأيت عبد الله بن المقفع فرحب بي وقال : ما تصنع ههنا . فقلت ركبني دين فأُحوجت الى الازعاج . فقال هل رأيت أحدًا فقلت ابن شبرمة وعرفتهُ حالي فقال أنا اكلم الامين ليضمك الى أولاده فيكون لك نفع . فقال اف لذلك ايجعلك مؤدبًا في آخر عمرك ابن منزلك . فعرفتهُ فأتاني في اليوم الثاني وأنا مشغول بقوم يقرأون عليّ ومعهُ منديل

فوضعهُ بين يديّ فاذا فيهِ اسورة مكسورة ودراهم متفرقة مقدار أربعة آلاف درهم فأخذت ذلك ورجعت الى البصرة واستغنيت بهِ

﴿ يزيد بن عبد الملك ﴾

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك لهُ . لقد عثرت فقال الجواد بعثرة فقال المؤدب : أي والله ويضرب حتى يستقيم فقال يزيد : وربما برمح سائسهُ فيكسر انفهُ

﴿ الاعرابي وبعض القراء ﴾

دخل اعرابي مسجد البصرة فانتهى الى حلقة علم يتذاكرون فيها الاشعار والاخبار وهو يستطيب كلامهم . ثم اخذوا في العروض . فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليهِ ما لم يعرفهُ فظن انهم يأثرون بهِ فقام مسرعًا وخرج وقال :

قد كان اخذهم في الشعر يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلامًا لست اعرفهُ ... كأنهُ زجل الغربان والبوم
وليت مقلبًا والله يعصمني ... من القحم في تلك الجراثيم

﴿ ذكر ما كتب على احد القصور ﴾

قال وهب بن منبه : وجدت على قصر احد ملوك اليمن هذه الابيات

با توا على قلل الاجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم فاسكنوا حفرًا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا اين الاسرة والتيجان والحللُ
اين الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تضرب الاستار والكللُ
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طال ما أكلوا يومًا وماشربوا فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أُكلوا

ابن بشار وابراهيم بن ادهم

قال ابراهيم بن بشار : سألت ابراهيم بن ادهم . وكان قد تحول سابق عزه الى الزهد والقناعة : كيف كان بدء امرك حتى صرت الى هذا . قال : غير هذا اولى بك . قلت يرحمك الله لعل الله يرحمني به يومًا . ثم سألته ثانية . فقال : ويحك اشتغل بالله تعالى . ثم سألته ثالثة فقلت : ان رأيت برحمك الله ان تخبرني لعل الله ان ينفعني فقال : كان ابي من ملوك خراسان وكان من المياسير فحبب اليّ الصيد فبينا انا راكب فرسًا وكلبي معي رأيت ظبيًا فلما نهضت فسمعت نداء من ورائي (يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أُمرت) فوقفت انظر يمنة ويسرة فلم اجد احدًا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان . ثم حركت فرسي فسمعت نداء اقوى من الاول (يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أُمرت) . فوقفت مقشعرًا انظر يمنة ويسرة فلم أرَ شيئًا فقلت . لعن الله الشيطان . ثم حركت فرسي فسمعت قائلاً يقول (يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت) فوقفت وقلت : هيهات جاءني النذير من رب العالمين — والله لاعصيت ربي ما عصمني بعد بوبي هذا فتوجهت

الى اهلي وتركت فرسي وجئت الى بعض رعاة ابي فأخذت جبتهُ وكساءهُ والقيت اليهِ ثيابي وصرت الى العراق . فعملت بها اياماً فلم ترق في عيني فقصدت طرسوس . فبينا انا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكتراني لانظر لهُ بستاناً . فتوجهت معهُ . فكنت في البستان اياماً عديدة فاذا انا بخادم قد اطل ومعهُ اصحاب لهُ ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرتهُ . فقعد في مجلسهِ ثم قال : يا ناطور فأجبتهُ . فقال : اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليهِ واطيبهُ . فأتيتهُ برمان . فأخذ الخادم رمانةً فكسرها فوجدها حامضة فقال : ياناطور ما هذا . انت منذ ايام في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا لاتعرف الحلو من الحامض . قلت والله ما اكلت من فاكهتكم شيئاً وما اعرف الحلو من الحامض . فضحك الخادم اصحابهُ وقال : الا تعجبون من هذا . ثم قال لي : لو كنت ابراهيم بن ادهم ما زاد على هذا . فلما كان من الغد حدث الناس في المسجد بالصفة . فجاء الناس الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم

الاعرابي والفرس

عرض اعرابي فرساً للبيع . فقيل لهُ كيف هو . فقال : ما طلبت عليهِ الا لحقت ولا طُلبت الا فتّ . فقيل لهُ ولمَ تبيعهُ . فأنشد يقول

وقد تخرج الحاجات يا ام مالك كرائم من رب بهنَّ ضنينُ

﴿ زياد والمهلب ﴾

دخل زياد على المهلب فأنشده قصيدة فلما أتى على البيت :

فاذا مررت بقبره فاعقر لهُ وانضح جوانب قبره بدمائها

قال لهُ : هلا عقرت عليهِ يا أبا امامة فرسك . فقال اني كنت على جواد سقيم ولو كنت على اصيل لفعلت . فاستحسن قولهُ وقال لمن حضر مجلسهُ من ولده ومواليهِ : لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيلهِ . فانصرف بعدة افراس

﴿ ما يشتهيه اكمه ﴾

قيل لاكمه ما تشتهي . فقال ان أرى وجه السماء . فقيل وكيف اخترت ذلك . فقال لقول الله تعالى : « ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح » وقولهُ تعالى « إنّا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » فهل شيء احسن مما يخبر الله عزّ وجلّ انهُ زينهُ

﴿ بكاء شامت في عدوّه ﴾

قال احدهم شهدت رجلاً على قبر وهو يكثر البكاء . فقلت : اعلى قريب أو على صديق . فقال اخص منهما . قد كان لي عدو فخرج الى الصيد فرأى ظبياً فتبعهُ فعثر بالسهم فوقع مع الظبي ميتين فدفن . فانتهيت الى قبره شامتاً فاذا عليهِ مكتوب

وما نحن الا مثلهم غير اننا أقمنا قليلاً بعدهم وترحلوا
فها أنا واقف أبكي على نفسي

ابن الاثير واهل دمشق

قال ابن الاثير : سافرت الى الشام سنة ٥٨٧ للهجرة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط من قصيدة اولها

خذا من صبا نجدٍ امانًا لقلبهِ فقد كاد رياما يطير بلبهِ

ويزعمون انهُ من المعاني الغريبة وهو قولهُ

اغار اذا آنست في الحيّ أنة حذارًا عليهِ ان تكون لحبهِ

فقلت لهم هذا مأخوذ من قول ابي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديتهُ مما بهِ لاغرتهُ بفدائهِ

وقول ابي الطيب ادق معنى وان كان بيت ابن الخياط ارق لفظًا

الاصمعي والاعرابي

قال الاصمعي كنت اقرأ : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفورٌ رحيم » وبجانبي اعرابي فقال كلام من هذا . فقلت كلام الله . قال اعد . فأعدت . فقال ليس هذا كلام الله . فانتبهت فقرأت « والله عزيز حكيم » . فقال اصبت هذا

كلام الله . فقلت اتقرأ القرآن . قال لا . فقلت من اين علمت . فقال يا هذا عزّ فهمكم فقطع . ولو غفر ورحم لما قطع

الاسكندر والنساء

قصد الاسكندر موضعًا فحاربته النساء . فكف عنهنّ . فقيل له في ذلك . فقال : هذا جيش اذا غلبناه فما لنا به من فخر . وان غلبنا فنلك فضيحة الدهر

الحجاج واحد اصحاب ابن الاشعث

اتى الحجاج برجل من اصحاب ابن الاشعث فقال له : اسألك ان تقتلني وتخلصني . فقال له الحجاج : ولمَ . قال اني أرى كل ليلة في المنام انك تقتلني وقتلة واحدة خير من قتلات . فضحك الحجاج وخلى سبيله

ام علقمة الخارجية والحجاج

أُسرت ام علقمة الخارجية وأُتي بها الى الحجاج . فقيل لها : وافقيه في المذهب فقد يظهر الشرك بالمكر . فقالت : قد ضللت اذًا وما انا من المهتدين . فقال لها : قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء . فقالت : لقد خفت الله خوفًا صيرك في عيني اصغر من ذباب وكانت منكسة . فقال ارفعي رأسك وانظري اليّ . فقالت : اكره ان انظر الى من لا ينظر الله اليه . فقال : يا اهل الشام ما تقولون في دم هذه . قالوا حلال . فقالت : لقد كان جلساء اخيك فرعون ارحم

من جلسائك حيث استشارهم في امر موسى . فقالوا ارجئه وأخاه . فقتلها

المهلب وفتى من الازد

يروى ان فتى من الازد دفع الى المهلب بن ابي صفرة سيفاً له وقال : كيف ترى سيفي يا عم . فقال المهلب : سيفك جيد الاّ انه قصير . فقال اصله بخطوة . فقال : يا ابن العم المشي الى الصين على انياب الافاعي اسهل من تلك الخطوة

يزيد بن المهلب وجلساؤه

قال يزيد بن المهلب يوماً لجلسائه : تعنفوني في الاقدام . فقالوا اي والله لترمي نفسك . فقال اليكم عني فوالله لم آتِ الموت من حبه ولكني آتيه من بغضه ثم تمثل :

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياةً قبل ان اتقدما

رسول الله ومشرف على الموت

دخل النبي (صلعم) على شاب وهو يجود بنفسه فقال : كيف تجدك . قال ارجو الله واخاف ذنوبي . فقال النبي : الرجاء والخوف لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الاّ بلغه الله ما يرجو وامنه مما يخاف

﴿ عبد الرحمن بن عوف والنبي « صلعم » ﴾

دخل عبد الرحمن بن عوف على النبي (صلعم) يوم موت ابنه ابراهيم فوجد عينيه تذرفان فقال يا رسول الله اكنت تنهانا عنه . قال : انا ذو رحمة ولا يُرحم من لا يرحم

﴿ جواب الحسن البصري ﴾

قام الحسن البصري على قبر اخيه فبكى شديداً . فقيل له في ذلك فقال : ما رأيت الله عاتب يعقوب على طول بكائه على يوسف بل قال « وابيضت عيناهُ من الحزن فهو كظيم »

﴿ ابن عباس وبيت الاعرابي ﴾

قال ابن عباس : كنت اذا اصابتني مصيبة وانا شاب لا ابكي وكان يؤذيني ذلك حتى سمعت اعرابياً ينشد :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفي نجيُّ البلابل

فسألته لمن الشعر . فقال : لذي الرمة . فكنت اذا أُصبتُ بكيت فاستريحت

﴿ دعاء اعرابي ﴾

طاف اعرابي بالبيت ثم صلى ركعتين ونهض . فقيل له ما لك حاجة الى الله . قال بلى وقد سألته . قيل وما قلت . قال : قلت اللهم انك قد احصيت ذنوبي فاغفرها وعلمت حاجتي فاقضها

جعفر بن محمد وسفيان الثوري

قال مالك بن انس : كنا عند جعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري فقال له : حدثني رحمك الله . فقال : يا ابا عبد الله قد اكثرت من الحديث وكثرة الحديث تخبل . اعلمك ثلاثًا خير لك من مال كثير . يا سفيان اذا انعم الله عليك نعمة فاكثر من الحمد لله فان الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لازيدنكم » . واذا قلت نفقتك فعليك بالاستغفار فانهُ يزيدك من المال والولد والنعمة . قال الله تعالى : « استغفروا ربكم انهُ كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا ويمددكم باموال وبنين » . واذا اشتد بك كرب فعليك بذكر « لاحول ولا قوة الاّ بالله » فانها كنز من كنوز الجنة . فجعل سفيان يقولها ويعدها في يده ثلاثًا واي ثلاث . فقال جعفر : قد فهمها والله

وصف الدنيا

قال رجل لامير المؤمنين : صف لي الدنيا . قال ما أصف في دار اولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب من آمن فيها سقم ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن

معاوية والاعرابي

دخل اعرابي عمره مائة وعشرون سنة على معاوية . فقال له : صف لي الدنيا . فقال سنوات بلاء وسنوات رخاء يولد مولود ويهلك هالك ولولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الارض

ذوو الآمال

أتي يزيد بخارجي فأراد قتله . فقال :

عسى فرج يأتي به الله انه له كل يوم في خليقته امرُ

فقال : والله لاضربن عنقك . اقلوه . فدخل الهيثم بن الاسود . فقال امسكوه قليلاً فدنا منه فقال : يا امير المؤمنين هب مجرم قوم اوافدهم . فقال هو لك . فخرج الخارجي وهو يقول : يأبى على الله فابى الاّ ان يغلبه

ويأحضر رجل ليقتل في ايام نازوك . فدعا بطعام فاخذ يأكل ويضحك . فقيل تضحك وانت مقتول . فقال من الساعة الى الساعة فرج . فسمعت صيحة فقيل مات نازوك . فخلوا الرجل فنجا

وصية اعرابي لابنه

اوصى بعض الاعراب ابنه وقد ارسله الى محاربة بعض اقرانه فقال : يا بنيّ كن بدّاً لاً لاصحابك على ما فانك واياك والسيف فانه ظلمة الموت والق الرمح فانه رسول المنية ولا تقرب السهام فانها رسل لا تؤامر مرسلها . قال : فبمَ اقاتل . قال بما قال الشاعر

جلاميد املاء الأكف كأنها رؤوس رجال حلقت في المواسم

الشبلي والحلاق

رأى الشبلي صوفيًا يقول لحجام احلق رأسي لله . فلما حلقه

دفع الشبلي للحجام اربعين دينارًا وقال خذها جزاء خدمتك هـذا الفقير. فقال الحجام انما فعلت ذلك لله ولا احل عقدًا بيني و بينه باربعين دينارًا. فلطم الشبلي رأسه وقال كل انسان خير مني حتى الحجام

الحسن بن هاني والصبي

سمع الحسن بن هاني صبيًا يقرأ قولهُ تعالى « يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيهِ واذا أظلم عليهم قاموا » . فقال في مثل هذا تجيء صفة الخمر حسنة . ثم تأمل ساعة وانشد :

وسيارة ضلوا عن القصد بعد ما
ترادفهم جنح من الليل مظلمُ
فلاحت لهم منا على النأي خمرة
كأنَّ سناها ضوء نار تضرمُ

الشريف الرضي وابن المطرز

كان الشريف الرضي جالسًا في علية لهُ تشرف على الطريق فمرَّ بهِ ابن المطرز يجر نعلاً لهُ بالية وهي تثير الغبار . فامر باحضاره وقال لهُ انشد أبياتك التي تقول فيها

اذا لم تبلغني اليك ركائبي فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها . فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى

نعالهِ البالية وقال اهذه كانت من ركائبك . فاطرق ابن المطرز ساعة وقال لما عادت هبات سيدنا الشريف الى مثل قولهِ

وخذ النوم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى . لانك خلعت مالا تملك على من لا يقبل . فاستحيا الشريف منهُ وامر لهُ بجائزة فدفعت اليهِ

شهامة مفتاحي السكة الحديد

كان مفتاحي احدى السكك الحديدية يلاعب ابنة لهُ . وفيما هو كذلك اذ رأى القطار يقترب فهم بفتح الخط الحديدي فرأى الابنة وراءه بين خطي القطار فاراد انتشالها فلم يقدر لان الوقت قصير فتركها وفتح الخط فمرَّ القطار كريح قاصف . وقد علم جيدًا ان ابنتهُ ذهبت ضحية ذلك القطار فلم يسئهُ ذلك لعلمهِ ان هلاك ابنتهِ خير من هلاك مئات من الراكبين ذلك القطار الذي اولم يفتح لهُ الخط لضل عن سبيلهِ وصدم غيره فحطما معًا . ولكنهُ مالبث ان رأى ابنتهُ الصغيرة حية سالمة . لان سرعة القطار هوت بها الى الارض بين ذينك الخطين فلم يصبها ضرر . فشكر الله على ذلك . وعلمت الحكومة بشهامة ذلك الرجل فدفعت اليهِ مالاً جزيلاً جزاء ما ابداه من الامانة والشهامة

ذو النون والجارية

قال ذو النون المصري : كنت في الطواف واذا بجاريتين قد اقبلتا وانشدت احداها تقول

صبرت على ما لو تحمل بعضهُ جبال حنين اوشكت تتصدع
ملكت دموع العين ثم رددتها الى ناظري فالعين في القلب تدمع

فقلت ماذا يا جارية . فقالت من مصيبة نالتني لم تصب احداً قط . قلت وما هي . قالت كان لي شبلان يلعبان امامي . وكان أبوهما ضحى بكبش . فقال احدهما للآخر : يا اخي أُريك كيف ضحى ابونا بكبشهِ . فقام واخذ شفرة ووخزه فهرب القاتل فدخل ابوهما فقلت لهُ : ان ابنك قتل اخاه وهرب . فخرج في طلبهِ فوجدهُ قد افترسهُ اسد . فرجع الاب فمات في الطريق ظمأً وحزنًا

معاوية وابن هجن

وفد ابن هجن على معاوية فقال لهُ : انت الذي اوصاك ابوك بقولهِ

اذا مت فادفني الى جنب كرمةٍ
تروي عظامي الباليات عروقها
ولا تدفني في الفلاة فانني
اخاف اذا ما متُّ ان لا اذوقها

فقال ابن هجن بل ان الذي يقول ابي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرتهُ
وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة البين حصتهُ
وعامل الرمح ارويهِ من العلق
واطعن الطعنة النجلاء عن عرضٍ
واكتم السر فيهِ ضربة العنق

فقال لهُ معاوية احسنت يا ابن ابي نجحن . وامر لهُ بصلة

﴿ ابو الطيب وبدر بن عمار ﴾

قال ابو الطيب لبدر بن عمار وكان قد حسدهُ واراد مناظرتهُ ما حملك على ما وصلت . فقال لهُ ابو الطيب

زعمت انك تنفي الظن عن أدبي
وانت أعظم أهل الارض مقدارا
اني أنا الذهب المعروف مخبره
يزيد في السبك الدينار دينارا

فقال لهُ بدر بل والله للدينار قنطارًا فقال

برجاء جودك يطرد الفقرُ وبان تعادي ينفد العمرُ
فخر الزجاج بان شربت بهِ وزرت على من عافها الخمرُ
وسلمت منها وهي تشكرنا حتى كانك هابك السكرُ
ما يرتجي أحد لمكرمة الاَّ الالهُ وانت يا بدرُ

محمد امين المحبي

دعي محمد امين المحبي الى مجلس بعض الاعيان وكان به المولى علي بن ابراهيم العمادي والسيد عبد الكريم وغيرهما فسقطت ثريا القناديل في ذلك المجلس . فقال محمد امين المحبي مرتجلاً

ولبس سقوط الثريا لدى
ندي المعالي من المنكرات
فان الشموس اذا اسفرت
فلا حظ للانجم النيرات

وقال السيد عبد الكريم

قد أدرنا من الحديث كؤوسا
سكرت من مدامها الافهامُ
ونعمنا بالاً وروحاً وسمعاً
ولدينا للنيرات ازدحامُ
بينما نحن من ثرياه عجبٌ وبها الزهر زانه الانتظامُ
اذ تداعت من افقه وهي تجلى اذ حكتنا وفاتها ما يرامُ

مصطفى اللقيمي

غادر مصطفى اللقيمي دمشق الشام فخطرت على باله يوماً

وهاجته الذكرى فأنشد :

دمشق وما شوقي اليك قليلُ ... فهل لي بواديك النضير مقيلُ
وهل اغتدي يوماً بفيءِ ظلاله ... فظلٌّ رباه للسراة ظليل
وهل ازدهي بالنيرين ودوحه ... بروض به غصن السرور يميلُ
وهل ترتوي عيني بمشهد سفحه ... ويضحى فؤادي بالغرام يميل
وهل لي لسفح الصالحية أوبةٌ ... فاني لهاتيك الرحاب أميلُ
نعمت زماناً بالمرابع والحمى ... وروض زماني بالصفاء بليل
وقد بعدت عني وشط مزارها ... ومالي اليها بالوصول سبيل
وصبري عفت يوم الفراق رسومه ... ووجدي تبدى يوم حان رحيل
وقلبي حمول بالجفا متوقد ... وطرفي همول بالدموع يسيل
اروح روحي بالغرام وبالمنى ... ليبرد مني لوعة وغليل
وابرد قلبي بالنسيم تعللاً ... لديكم وهل يشفي العليلَ عليلُ

﴿ وصف المياه ﴾

قال ابو تمام في وصف ماء الشعر :

وكيف ولم يزل للشعر ماءٌ ... عليه يرفُّ ريحان القلوبِ

وقال أبو محمد الفياض في وصف ماء الشباب :

وما بقيت من اللذات الا ... محادثة الكرام على التراب

ولثمك وجنتي قمر منير يجول بخده ماء الشباب

وقال آخر في وصف ماء النضارة والندى والبشر :

يجول به ماء النضارة والندى كما جال ماء البشر في وجه قادم

وقال البحتري في وصف ماء الجود والنوال :

وما أنا الا غرس نعمتك التي أفضت لها ماء النوال فاورقا

وقال أبو العتاهية في وصف ماء البشاشة:

ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ

وقال الصاحب بن عباد في وصف ماء الظرف :

وشادن أحسن في اسعافه يقطر ماء الظرف من أطرافه

وقال الشريف الرضي في وصف ماء الورد :

ترقرق ماء الورد بيني وبينه وطاح القذا عن سلسل الطعم رائق

﴿ الحجاج والحسن البصري ﴾

خطب الحجاج يوماً فقال : ان الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا فليتنا كفينا مؤنة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . فسمعها الحسن البصري فقال : هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق

﴿ احد اكابر البصرة والعجوز ﴾

بنى بعض اكابر البصرة داراً وكان في جواره بيت لعجوز

يساوي عشرين دينارًا . وكان محتاجًا اليه في توسيع الدار فبذل لها فيه مائتي دينار فلم تبعه . فقيل لها ان القاضي يحجز عليك لانك رفضتِ مائتي دينار لما يساوي عشرين دينارًا . قالت : لمَ لايحجز على من يشتري بمائتين دينار ما يساوي عشرين دينارًا . فأفحمت القاضي ومن معه جميعاً وترك البيت في يدها

﴿مطرف والمهلب بن ابي صفرة﴾

نظر مطرف بن عبد الله الى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء فقال : ياأبا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله . فقال المهلب : أما تعرفني . فقال : بل اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة فخجل المهلب ومضى

﴿ الغيبة ﴾

دخلت امرأة على النبي (صلعم) مستفتيةً . فلما خرجت قالت عائشة (رضه) : يارسول الله ما أقصرها . فقال : مهلاً اياك والغيبة . فقالت : يارسول الله انما قلت مافيها . قال : اجل ولولا ذلك لكان بهتانًا

﴿الفلكي وبعض اصحاب الاسكندر﴾

قال بعض أصحاب الاسكندر انه دعاهم فلكي ليلة ليريهم

النجوم ويعرفهم خواصها وأحوال سيرها . فأدخلهم الى بستان وجعل يمشي معهم ويشير بيده اليها حتى سقط في بئر هناك . فقال: من تعاطي علم مافوقه بلي بجهل ما تحته

﴿ جواب لطيف ﴾

سمع رجلٌ رجلا يقول اين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة . فقال له : يا هذا اقلب كلامك وضع يدك على من شئت

﴿ شقيق البلخي وامرأته ﴾

اشترى شقيق البلخي بطيخة لامرأته . فوجدتها غير طيبة فغضبت . فقال لها: على من تغضبين . اعلى البائع أم على المشتري أم على الزارع أم على الخالق . فأما البائع فلو كان منه لكان أطيب شيء يرغب فيه . وأما المشتري فلو كان منه لاشترى أحسن الاشياء . وأما الزارع فلو كان منه لانبت أحسن الاشياء . فلم يبق الا غضبك على الخالق فاتقي الله وارضي بقضائه

﴿ الامام علي وسائلوه ﴾

قيل لعلي بن أبي طالب كم بين السماء والارض . قال دعوة مستجابة . قيل فكم بين المشرق والمغرب . قال مسيرة يوم للشمس

﴿ رسول الله وعويمر ﴾

قال رسول الله (صلعم) : ياعويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً. قال بأبي أنت وأمي ومن لي بالفعل . قال اجتنب محارم الله وأدّ فرائض الله تكن عاقلاً ثم تحلى بصالحات الاعمال تزدد في الدنيا عقلاً وتزدد من ربك قرباً وبه عزًّا

﴿ ابو علي الفضل واحد الطالبين ﴾

شتم بعض الطالبين ابا علي الفضل بن جعفر البصير. فقال ابو علي والله ما نعيا عن جوابك ولا نعجز عن مسابك ولكننا نكون خيراً لنسبك منك ونحفظ منه ما اضعت فاشكر توفيرنا ماوفرنا منك ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك

﴿ عمرو بن عبدود وشجاعة اخته ﴾

حضر عمرو بن عبدود معركة فى خندق فدعا البراز وأنشد :

ولقد بححت من الندا ... بجموعهم هل من مبارز
ووقفت اذ نكل الشجا ... ع بموقف البطل المناجز
اني كذلك لم ازل ... متسرعاً نحو الهزاهز
ان السماحة والشجا ... عة في الفتى خير الغرائز

فبرز اليه الامام علي بن أبي طالب وقال : ياعمرو انك عاهدت الله لقريش ان لا يدعوك احد الى خلتين الا اخذت احداهما فقال اجل . قال اني ادعوك الى الله عزّ وجل . قال لا حاجة لي بذلك . قال فاني ادعوك الى المبارزة . قال يا ابن أخي ما أحب ان اقتلك . فقال عليّ لكني والله أحب ان اقتلك . فحمي عمرو وهجم على عليّ وعلت بينهما غبرة سترتهما . فانقض عليّ على عمرو كالاسد الخاطف وقتله فجاءت اخته فقالت : من قتله . فقيل لها عليّ بن أبي طالب . فقالت كفء كريم . ثم انصرفت وهي تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديماً زينة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة ... الى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبى الله الا ان يكون لهم ... مكارم الدين والدنيا بلا أمد
يا ام كلثوم ابكيه ولا تدعي ... بكاء معولة حرّى على ولد

ابو حازم الصوفي والمرأة الحسناء

خرج أبو حازم الصوفي في بعض أيام المواقف واذا بامرأة جميلة حاسرة عن وجهها قد فتنت الناس بحسنها . فقال لها ياهذه انك بمشعر حرام وقد شغلت الناس عن مناسكهم فاتقي الله واستتري .

فقالت ياأبا حازم اني من اللائي قال فيهن الشاعر :

اماطت كساء الخزّ عن حر وجهها وأرخت على المتنين برداً مهلهلاَ
من اللاء لم يحجبن يبغين حسبة ولكن سيقتلنَ البريءَ المغفلا

فقال أبو حازم لاصحابه : تعالوا ندعو الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يعذبها بالنار. فجعل يدعو واصحابه يؤمنون . فبلغ ذلك الشعبي فقال : ما ارقكم يا اهل الحجاز أما لو كان من أهل العراق لقال اغربي عني ياشقية

﴿ صبر الحلاج على الموت ﴾

اجمع علماء بغداد على قتل الحسين بن منصور الحلاج ووضعوا خطوطهم وهو يقول : الله في دمي فانه حرام . ولم يزل يردد ذلك وهم يثبتون خطوطهم حتى حمل الى السجن وذاق اصناف العذاب فأمر المقتدر بقطع يديه ورجليه فتقدم السياف وقطع يده اليمنى ثم اليسرى ثم رجله فخاف ان يصفر وجهه من نزف الدم فأدنى يده المقطوعة من وجهه فلطخه بدمها ليخفي اصفراره وأنشد :

لم أسلم النفس للاسقام تتلفها الا لعلمي بان الوصل يحميها
نفس المحب على الآلام صابرة لعل مسقمها يوماً يداويها

فلما شيل الى الجذع قال : يامعين على الضنى وأنشد يقول :

لبيك يا عالماً سري ونجوايا لبيك لبيك ياقصدي ومعنايا
أدعوك بل أنت تدعوني اليك فهل ناجيتُ اياك أم ناجيتَ اياياً
ياويح روحي من روحي ويا أسفي عليَّ مني فاني اصل باوايا

﴿ حيلة مديون ﴾

قدّم قومٌ غريمهم الى الوالي وادّعوا عليه بألف درهم . فقال الوالي ماتقول . فقال صدقوا فيما يقولون ولكني أسألهم ان يمهلوني لابيع عقاري وإبلي وغنمي ثم اوفيهم . فقالوا أيها الوالي قد كذب والله ماله شيء من المال لا قليل ولا كثير . فقال قد سمعت شهادتهم بافلاسي فكيف يطالبونني . فأمر الوالي باطلاقه

﴿ جواب سديد ﴾

سئل بعض الرهبان متى عيدكم . فقال يومَ لا نعصي الله سبحانه وتعالى فذلك عيدنا . ليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة انما العيد لمن أمن عذاب الآخرة ليس العيد لمن لبس الرقيق انما العيد لمن عرف الطريق

﴿ مجنون ليلى ولائموه ﴾

مرّ مجنون ليلى على منازل ليلى بنجد فأخذ يقبل الاحجار

ويضع جبهته على الآثار. فلاموه على ذلك. فخلف انه لا يقبل في ذلك الا وجهها ولا ينظر الا جمالها. ثم رئي بعد ذلك في غير نجد وهو يقبل الآثار ويستلم الاحجار. فلیم على ذلك وقيل له انها ليست منازلها. فأنشد:

لا تقل دارها بشرقي نجد كل دار للعامرية دارُ
فلها منزل على كل أرض وعلى كل دمنة آثارُ

﴿ الغني والفقير ﴾

أتى فقير النبيَّ (صلعم) وعنده احد الاغنياء. فكف الغني ثيابه عنه. فقال له رسول الله: ما حملك على ما صنعت أخشيت ان يلصق فقره بك أو يلصق غناك به. فقال يارسول الله اما اذا قلت هذا فله نصف مالي. فقال للفقير: أتقبل منه. قال لا. قال ولمَ. قال أخاف ان يداخلني ما داخله من عزة الكبرياء

﴿ اسعد الناس واشقاهم ﴾

سئل فتىً من أسعد الناس. فاجاب: من كان في معيشته راضياً ثم سئل ومن أشقاهم واوفرهم عناءً. قال: من تملكه الطمع وتمكن منهُ الحسد فلا يقنع بشيء ولا ينظر الى مقتنى الغير بعين الرضا وأنشد

قول بعضهم :

اذا قيل أي الناس من زاد همه ... أجبت الذي في قسمه غير قانع
فملك (القناعه) خير كنز لقانع ... وحب (الشراهه) شر ضر لطائع

﴿ عبيد الابرص وامرؤ القيس ﴾

لقي عبيد بن الابرص امرأ القيس فقال له عبيد : كيف معرفتك بالاوابد . فقال ألق ما احببت . فقال عبيد :

ما حبة ميتة قامت بميتتها ... درداء ما أنبتت سناً واضراسا

فقال له امرؤ القيس :

تلك الشعير تسقى في سنابلها ... فأخرجت بعد طول المكث اكداسا

فقال عبيد :

ماالسود والبيض والاسماء واحدة ... لايستطيع لهن الناس تمساسا

فقال امرؤ القيس :

تلك السحاب اذا الرحمن ارسلها ... روى بها من محول الارض ايباسا

فقال عبيد :

ما مرتجات على هول مراكبها ... يقطعن طول المدى سيراً وإمراسا

فقال امرؤ القيس :

تلك النجوم اذا حالت مطالعها ... شبهتها في سواد الليل اقباسا

فقال عبيد :

ماالقاطعات لارضٍ لا أنيس بها تأتي سراعاً وما يرجعن أنكاسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الرياح اذا هبت عواصفها كفى بأذيالها للترب كناسا

فقال عبيد :

ما الفاجعات جهاراً في علانية اشد من فيلق مملوءةٍ باسا

فقال امرؤ القيس :

تلك المنايا فما يبقين من احد يكفتن حمق وما يبقين اكياسا

فقال عبيد :

ماالسابقات سراع الطير في مهل لا يشتكين ولو الجمتها فاسا

فقال امرؤ القيس :

تلك الجياد عليها القوم قد سبحوا كانوا لهن غداة الروع احلاسا

فقال عبيد :

ماالقاطعات لارض الجو في طلق قبل الصباح وما يسرين قرطاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الاماني يتركن الفتى ملكا دون السماء ولم ترفع به راسا

فقال عبيد :

ماالحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس

تلك الموازين والرحمن انزلها رب البرية بين الناس مقياسا

الفرزدق والاسير

حكي ان سليمان بن عبد الملك أمر الفرزدق بضرب اعناق اسارى من الروم فاستعفاه الفرزدق فلم يفعل . فقام فضرب عنق رومي فنبا السيف عنه . فضحك سليمان ومن حوله فقال الفرزدق :

ايعجب الناس ان اضحكت سيدهم خليفة الله يستسقى به المطرُ
لم يندبُ سيفي من رعب ولا دهش عن الاسير ولكن اخر القدرُ
ولن يقدم نفساً قبل ميتتها جمع اليدين ولا الصمصامة الذكرُ

ثم اغمد سيفه وهو يقول :

ما إن يعاب سيد اذا حبا ولا يعاب صارمٌ اذا نبا
ولا يعاب شاعر اذا كبا

الاخوة الثلاثة وصندوق المال

سافر ثلاثة من الاخوة في طلب الرزق . وكانوا اذا دهم الليل يحرسون بعضهم بعضاً فيحرس الاكبر الثلث والاوسط الثلث والاصغر الثلث الى ان يسفر الصباح . فبينما كان صغيرهم يحرس ليلةً بدوره جعل يقطع الوقت بنبش الارض فعثر بصندوق ففتحه فرآه مفعماً ذهباً ففرح

واخذ بعد ما فيهِ . فسمع اخواهُ رنة الدراهم فانتبها فنظرا الصندوق فطمعا في اخذه ليحرما منهُ اخاهما الاصغر . فلما آنس الصغير في اخويهِ طمعًا نظر اليهما قائلاً : أرى ان نصحب معنا هذا الصندوق وهو لنا على اي حال . فأذعنا لقولهِ ومضى الاخوة الثلاثة

فلما بلغوا البلدة التي يقصدونها نزلوا في فندق ودفعوا الصندوق لصاحب الفندق وقالوا لهُ : احفظ هذا الصندوق ولا تدفعهُ لنا الاَّ اذا طلبناه معًا نحن الثلاثة . فامتثل صاحب الفندق قولهم . وكان بجانب الفندق حمامٌ فذهبوا اليهِ ليغتسلوا . فلما انتهوا من الاستحمام طلبوا مناشف فلم يروا ما يسرُّهم فارسلا أخاهما الاصغر الى الفندق ليأتيهما بها . فمضى الاصغر الى صاحب الفندق وطلب صندوق المال فلم يعطهِ اياه حسب الاتفاق مع اخوتهِ . فنظر الى الحمام فرأى اخويهِ في النافذة وقد زاد منهما الجزع . فقال لهما لم يعطني . فصاحا بصاحب الفندق اعطهِ اعطهِ . فظنهما يعنيان ذلك الصندوق فدفعهُ اليهِ فأخذه وسافر من البلدة

ولما انتظر اخواه ولم يأتِ سألا صاحب الفندق . فقال قد أعطيتهُ الصندوق حسب امركما . فقالا وكيف ذلك وهل طلبنا منك الصندوق فاننا لم نطلب الاَّ مناشف فكيف اعطيتهُ وخالفت الاتفاق وترافعا فحكم على صاحب الفندق بدفع المال . فحار في امرهِ وألجأهُ الامر الى بيع الفندق بما فيهِ بحيث اصبح فقيرًا

فمرَّ بهِ يومًا احد المحامين وسألهُ عن امرهِ فأطلعهُ فقال لهُ اترك اليَّ ذلك وأنا ابروُّك من الحكم . فاجابهُ صاحب الفندق ومضى

الحمامي الى القاضي وقال : لقد اتفق هؤلاء الاخوة بانهُ لاحق لهم بأخذ الصندوق الاَّ اذا جاءوا بطلبهِ معًا من صاحب الفندق . فالصندوق الآن لا يزال في الفندق فليأت الاخوة الثلاثة لاخذهِ حسب الاتفاق . فرأى القاضي ذلك صوابًا وعلم الاخوان انهُ مصيب فامتنعا عن الكلام ثم امر القاضي فردَّ المال على صاحب الفندق ورجع الاخوان ذليلين صغرولين

صاحب الجرَّة وجارهُ

أراد احدهم السفر الى بلدة بعيدة وكان عندهُ جرة ذهب فاراد ابقاءها عند جارهِ . فوضع على وجه الذهب زيتًا واخذها الى جارهِ وقال : أسألك ايها الجار ان تدع لي عندك هذه الجرة فان فيها زيتًا واخشى ان تنكسر في السفر . قال حبًا وكرامة ووضع الجرة في جانب البيت وسافر الرجل

فاتفق ان امرأتهُ احتاجت في غيابهِ الى قليل من الزيت فقالت في نفسها آخذ قليلاً من جرة جارنا . ولكنها ما كادت تملأ القدح حتى سمعت رنة الذهب فطار قلبها من الفرح . فانتظرت الى ان عاد زوجها فأخبرتهُ فاخرج ذلك الذهب ووضع مكانهُ زيتًا وختم الجرة كما كانت

وبعد سنتين عاد الرجل وطلب الجرَّة من جارهِ . فدفعها لهُ وقد علاها العنكبوت . فاخذها وفتحها فاذا فيها زيت فعلم ان جارهُ اخذ

الذهب ووضع الزيت مكانهُ فمضى اليهِ وطلب الذهب المفقود فأنكرهُ وقال : انت قلت ان في الجرة زيتاً وتشاجرا . فلما ذهبا الى المحكمة ومثلا امام القاضي سأل القاضي الرّجل قائلاً : هل من شاهدٍ لديك؟ قال كلاّ . قال فمن يثبت لنا صحة دعواك فرجع الرجل آسفاً حزيناً واصبح لا يملك درهماً وتحدث بهِ الخاص والعام

فتنكر الحاكم يوماً ليتفقد حال الرعية . وفيما هو سائر رأى صبية يلعبون فمال نحوهم فرآهم وقد جلسوا بهيئة محكمة وكبيرهم واقف يقضي بينهم فدنا الملك قليلاً فسمعهُ يقول لاحد ولدين منتصبين امامهُ : أين الجرة التي قبل ان فيها زيتاً . فقال الولد هاك يا مولاي . واناهُ بقطعة خزف عليها اثر زيت . فقال واين بائع الزيت ؟ فجاءهُ بولدٍ امامهُ . فقال أتعرف هذا الزيت قديم هو أم جديد . قال نعم يا مولاي ثم تبينهُ وقال : بل جديد . قال وكيف ذلك . قال لان الزيت اذا قدم صفا لونهُ . ثم نظر الكبير الى المدّعى عليهِ وقال : واين الذهب . فجاءهُ بقطع خزف فقال ضعوها في الماء واغلوا الماء على النار . ففعلوا . فلما غلت الماء هزّ رأسهُ قائلاً : أنظرتم كيف طفا الزيت على وجه الماء . امسكوا المدّعى عليهِ فانهُ سارق وهـذا الزيت شاهد عليهِ

فاستفاد الحاكم من هذه الحكمة الهزلية مالم يكن ينتظر ورجع الى المحكمة وامر فأُتيَ بالرجلين والذهب وصاحب الزيت . ولما وضعوا الذهب في الماء وغلوهُ طفا الزيت على وجه الماء فعلم الحاكم انهُ لصاحب الجرة . فأمر بسجن الرجل ورد الذهب على صاحب الجرة

ذكاء قاضٍ

كان أحد التجار مسافرًا الى بلدٍ وكان معهُ بضاعة ثمينة على جملٍ يقودهُ جمّال امامهُ . فما تناصف الطريق حتى مرض التاجر واشتدّ عليهِ الالم فقال للجمّال : خذ هذه البضاعة الى البلدة وسلمها للتاجر فلان فانهُ امينٌ صادق وعن قريب أتبعك فلعب الشيطان بعقل الجمال واخذ البضاعة فباعها وباع الجمل وصار من الاغنياء . أما التاجر فانهُ بعد مرضهِ بخمسة عشر يومًا شفيَ من دائهِ وعاد الى البلدة وقصد صديقهُ التاجر وسألهُ عن البضاعة . فقال وايُّ بضاعةٍ ؟ . قال التي أرسلتها لك مؤخرًا مع الجمّال . قال لم يصلني شيء من ذلك . فعلم التاجر ان الجمّال خانهُ وباع البضاعة فساءهُ ذلك واصبح فقيرًا بعد غناه وكتم ما في نفسهِ

فبينما كان ذات يومٍ سائرًا في الطريق اذ رأى الجمّال وهو مرتدٍ افخر الثياب فأمسك بهِ وقال : أين البضاعة يا خائن ؟ قال وايُّ بضاعةٍ تعني ؟ . قال البضاعة التي ارسلتها معك الى التاجر فلان . قال وايُّ تاجر اتهذي ام بك جنون . وآل بهما الامر الى المشاجرة فسارا الى المحكمة ومثلا امام القاضي . فسأل القاضي التاجر عن امره فقصَّ عليهِ الحكاية وكيف ان الجمّال خانهُ بالبضاعة وتنكّر بثوب الاغنياء

فسأل القاضي الجمّال فأنكر وقال لست اعرفهُ . فنظر القاضي الى التاجر وقال : يخيل لي انك كاذب وان الرجل صادق في قولهِ . ثم امر بالحجر عليهِ وقال للرجل اذهب فانك بريء الساحة وسينال

التاجر جزاء فعله . فذهب الجمّال المتنكر وما ابتعد قليلاً حتى ناداهُ القاضي : يا جمّال يا جمّال . فالتفت اليهِ مندفعًا بالطبيعة التي نشأ عليها . فقال القاضي امسكوه . وشددوا عليهِ فأقرّ بما فعل فأمر بسجنهِ واطلاق التاجر بعد ان ردّ عليهِ ماله

القسم الثاني

في النوادر الغرامية

محمد بن صالح وحمدونة بنت عيسى

قال محمد بن صالح العلوي : لما خرجنا على المتوكل اخذت انا واصحابي قافلة الحج فجمعنا اموالاً ومتاعًا لا يحصى . وكنت قد نزلت على كرسي في بعض المراحل وقت نزولنا واصحابي يجمعون المال واذا بامرأة ذات حسن وجمال وصيانة وادب قد رفعت سجف الهودج فأضاء منها المكان ولا اضاءة الشمس . فقالت : اين الشريف صاحب السرية فلي اليهِ حاجة . فقلت انهُ يسمع كلامك . فقالت : انا حمدونة بنت عيسى بن موسى تعلم مكانتنا عند الخليفة وانا اسألك ان تأخذ مني

ثلاثين الف دينار ولكن اسألك بفضلك ان لا يكشف لي احد وجهًا . فناديت اصحابي . فلما اجتمعوا قلت : من اخذ منكم من هذه القافلة عقالاً اذنته بحرب . فردوا حتى الاطمة وخفرتهم الى المأمن . فلما ظفر بي الخليفة وحبسني سر من رأى دخل عليَّ السجان يومًا وقال : ان بالباب امرأتين من أهلك يريدان الدخول عليك ولولا ان دفعتا اليَّ دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة ان يدخل عليك احد . فخرجت فاذا انا بها مع امرأة وجارية تحمل شيئًا . فلما بصرت بي قالت : اي والله هو وبكت لما انا فيه . ثم قبلت قدمي وقالت : لو استطعت ان آتيك بنفسي لفعلت ولكني لا اقصر في خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولي يأتيك في كل يوم بما تريد حتى يفرّج الله عنك . ودفعت اليَّ خمسمائة دينار وثيابًا وطيبًا وطعامًا وانصرفت وقد اضرمت بقلبي نارًا قدحتها النظرة الاولى . فأنشدت

طرب الفؤاد وعاودت احزانهُ ... وتشعبت بشعابهِ اشجانهُ
وبدا لهُ من بعد ما اندمل الهوى ... برقٌ تألق موهنًا لمعانهُ
يبدو كحاشية الرداء ودونهُ ... صعب الذرى متمنعًا ارتكانهُ
يبدو فينظر ابن لاح فلم يطق ... نظرًا اليهِ وصدهِ سجانهُ
فالنار ما اشتملت عليهِ ضلوعهُ ... والماء ما سحت بهِ اجفانهُ
يا قلب لا يذهب بحلمك باخلٌ ... بالنيل باذل نافه منانهُ
واقنع بما قسم الاله فأمرهُ ... ما لا يزال على الفتى اتيانهُ
والبؤس ماضٍ لا يدوم كما مضى ... عصر النعيم وزال عنك اوانهُ

ولم يزل رسولها يعاودني بالاحسان وملاطفة السجان الى ان

فخرجت وعظم امري عند الخليفة فخطبتها . فامتنع ابوها . فكان سجن هواها اعظم عليّ من السجن الذي كنت فيه . فلم أرَ الا ان اتيت ابرهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك . وكان ابوها في ضيعته فركب اليه فلم يفارقهُ حتى زوّجني بها . وبقينا متمتعين بنعيم عيشنا الى ان توفيت واصابني بعدها الحزن والشجون

هجر محبين

كان احدهم يعشق فتاة ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف فخيل لهُ يومًا انها جنحت الى سواه فمال نحوها وانشد يقول :

اذا كان لي فيمن احبُّ مشارك ... منعت الهوى روحي ليتلفني وجدي
وقلت لها يانفس موتي كريمةً ... فلا خير في حب يكون مع الصد

فانثنت نحوه الفتاة بقامة كغصن البان وقد هاجها كلامهُ وثار منها عتابهُ فأجابت تقول :

اقمتم غرامي في الهوى وقعدتمُ ... واسهرتم جفني القريح ونمتمُ
ومنزلكم بين الفؤاد وناظري ... فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يكتمُ
وعاهدتموني ان نقيموا على الوفا ... فلما ملكتم فوادي عذرتمُ
ولم ترحموا وجدي بكم وتلهفي ... أمنتم صروف الحادثات أمنتمُ
سألتكم بالله ان مت فاكتبوا ... على لوح قبري ان هذا متيمُ
لعل شجيًا عارفًا لوعة الهوى ... يمر على قبر المحب فيرحمُ

فلما سمع كلامها وما اجابت بهِ من الابيات انشد يقول :

تركت حبيب القلب لا عن ملالة ولكن جنى ذنبًا يؤدي الى الترك
اراد شريكًا في المحبة بيننا وايمان قلبي لا يميل الى الشرك

فلما رأته معرضًا عنها مائلاً الى هجرها بكت واستعطفته ولانت له في الكلام وانشدت :

وحقك لو انصفتني ما قتلتني ولكن حكم الدهر ما فيه منصفُ
وحملتني ثقل الغرام وانني لاعجز عن حمل القميص واضعفُ
وما عجب اتلاف روحي وانما عجبت لجسمي بعدكم كيف يعرفُ

فلما انتهت من كلامها تركها وهو يقول :

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا واظهرتم الهجران ما هكذا كنّا
ستتركم لما تركتم مرامنا ونصبر عنكم مثل صبركم عنّا
ونهوى سواكم مذ جفيتم لغيرنا ونجعل قطع الوصل منكم لامنّا

ابن ملك النعمان والفتاة

بينما كان شركان بن الملك النعمان سائرًا على ضفاف نهر يتلألأ تحت ضياء القمر وقع نظره على جارية كأنها القمر في افقه عليها من الحلي والحلل ما يدهش الابصار وهي تزهو بقد رشيق وحاجب مزجج وجبين ابلج وطرف اهدب كاملة الصفات بديعة الذات فتذكر قول الشاعر :

تزهو عليّ بالحاظ بديعات وقدها مخجلٌ للسمهريات
تبدو الينا وخداها موردة فيها من الظرف انواع الملاحات

كأن طرتها في نور طلعتها ليلٌ يلوح على صبح المسرات

فلما رآها شركان وقع حبها في قلبه فنظر اليها نظرة عاشق يطلب العطف والرضاء . فما آنس الا صدوداً . فثارت منه عوامل الحيرة وهم ان يبتها كدره و يبدي لها اللوم والعتاب ولكن رده عنها فرط جمالها و بديع حسنها فانشد :

واذا المليح اتى بذنب واحد جاءت محاسنهُ بألف شفيع

ثم سارت الى منزلها فلما رآها شركان على ذي الحال انشد :

في وجهها شافع يمحو اساءتها من القلوب وجيهٌ حيثما شفعا

اذا تأملتها ناديت من عجب البدر في ليلة الاكمال قد طلعا

وفي ثاني الايام جاءت اليه الجارية . وقد علمت ما ألم به من الوجد والقلق فابدت له ما عندها من الحب والغرام وذهبت به الى ابياتها وأنشدت تقول :

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما

وكم فرّقت منك اللواحظ اسهما

اجل حبيباً جائراً في حبيبه

حرام عليه ان برقّ و يرحما

هنيئاً لطرف بات فيك مسهداً

وطوبى لقلبٍ ظلّ فيك متيما

تحكمت في قتلي فانك مالكي

بروحي افديه الحاكم المتحكما

اللقاء بعد الفراق

سافر احد الفتيان الى بلدة فبينما كان سائرًا في طرقاتها متفرجًا على محاسن ابياتها وقع نظره على فتاة جميلة فتانة سلبت فؤاده فخاطبها . فما آنس الاّ صدودًا فكتب اليها هذه الابيات وارسلها مع رسول :

كتبت اليكِ والعبرات تجري
ودمع العين ليس له انقطاعُ
ولست بيائس من فضل ربي
عسى يوم يكون به اجتماعُ

فلما قرأت هذين البيتين كتبت له تقول :

يا مدعي الحب والبلوى مع السهر وما يلاقين من وجد ومن فكرِ
اتطلب الوصل يا مغرور من قمر وهل ينال المنى شخص من القمر
اني نصحتك عما انت طالبهُ فاقصر فانك من هذا على خطر

فلما وصلت اليهِ الرقعة وقرأ ما فيها كتب يقول :

امست تهددني بالقتل واحربي والقتل لي راحة والموت مقدورُ
والموت اغنى لصب ان تطول بهِ حياتهُ وهو ممنوع ومقهورُ
بالله زوروا محباً قبل تفرقةٍ فانني عبدكم والعبد مأمورُ
ياسادتي فارحموا راجي محبتكم فكل من يعشق الاحرار معذورُ

فما كادت تقرأ الابيات حتى زادتهُ صدًّا وامتناعًا واجابت عليها تقول :

طال التشاجر وفرط الجهل اغرا كا
فكم بخط يدي في الشعر انها كا
وانت تزداد عند النهي في طمع
ولست الاّ بكتم السر ارضا كا
اكتم هواك ولا تجهر به أبدًا
وان نطقت فاني لست ارعا كا
وان رجعت الى ما أنت تذكره
فقد اتاك غراب البين ينعا كا

فلما رأى منها ذلك يئس من الحياة وفاضت من عينيه العبرات وانشد

فيا منيتي لا تنبعي الهجر والجفا فاني محبٌّ في المحبة غارقُ
ولا تحسبيني في الحياة مع الجفا فروحي من بعد الاحبة طالق

وما زال ينشد الاشعار ويأرق الليالي الطوال الى ان رق وسقم وصار نحيلاً كالخيال وبينما كان يومًا ماشيًا في الطريق وقع نظرها عليه وهو على ذي الحال فرق له قلبها وندمت على فعلها فأتى وماتت اليه واعتذرت نحوه وتمكن حبه في قلبها فعاشا معًا في الالفة والوداد

احد ابناء النعمان وابنة عمه

ربي ابن النعمان مع ابنة عمه حتى كبرا وترعرعا وصارا كأنهما

غصنان مثمران او قمران ازهران وكانت ابنة عمه من احسن البنات الخدرات جميلة الوجه نحيلة الخصر بردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر الذ من الرحيق . فوقع حبها في قلب ابن عمها وزاد فيه الوجد والهيام . فبينما كانت يوماً عند احد الاقرباء وقد عمها الحسن وحسد خدها الورد وتبسم عن بارق ثغرها الاقحوان رآها ابن عمها وهي واقفة كالقمر الزاهر فزاد وجده وانشد :

متى يشتفي قلب الدنو من البعد
ويضحك ثغر الوصل من زائد الصدّ
فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة
يوصل حبيب عنده بعض ما عندي

فلما سمعت ابنة عمه هذين البيتين اظهرت من الملامة والعتاب واعرضت عنه بوجهها . فزاد منه الحزن واشتد في قلبه الهيام وعاد من حيث كان . فما زال يردد ذكرها وينشد فيها الاشعار حتى علم بذلك ابوها فأخبر امه بما جرى . فجاءت امه تلومه على ذلك . فزاد النياعاً وانشد :

اقلي من اللوم الذي لا يفارق ... فقلبي الى من تبعثني مفارقُ
ولا تطلبي عندي من الصبر ذرة ... فصبري وبيت الله مني طالقُ
اذا سامني اللوام نهياً عصيتهم ... لاني في دعوى المحبة صادقُ
وقد منعوني عنوة ان ازورها ... واني والرحمن ما أنا فاسقُ

وان عظامي حين تسمع ذكرها تشابهُ طيرًا خلفهنَّ بواشقُ
ألا قل لمن قد لام في الحب انني وحق الهي بنت عمي لعاشقُ

ثم هام على وجههِ في عرض القفار وقد عراهُ الضعف والسقام واحدقت بهِ قوافل الآلام فتذكر ابنة عمهِ وما جرى لهُ فأنشد يقول :

دع مهجتي تزداد في خفقانها ليس التذلل في الورى من شانها
واعذر فان حشاشتي كصحيفةٍ لا شك ان الدمع من عنوانها
ها بنت عمي قد بدت حوريةً نزلت الينا عن رضى رضوانها
من رام لحاظ العيون معارضًا فبكائها لم ينج من عدوانها
سأسير في الارض الوسيعة منفذًا نفسي وامنحها سوى حرمانها

ولما اظلم الظلام نام وظلَّ نائمًا الى نصف الليل ثم انتبه على صوت انسان ينشد هذه الابيات :

ما العيش الاَّ ان يرى لك بارقُ من ثغرهِ من تهوى ووجههُ بارقُ
والموت اسهل من صدود حبيبةٍ لم يغشني منها خيالٌ طارقُ
يا فرحة الندماء حيث تجمعوا واقام معشوقٌ هناك وعاشقُ
لاسيما وقت الربيع وزهرهِ طاب الزمان بمن اليهِ تسابقُ
يا شارب الصهباء دونك ما ترى روضٌ مزخرفةٌ وماءٌ دافقُ

فلما سمع هذه الابيات هاجت منهُ الاشجان وجرت دموعهُ على خديهِ وانطلقت في قلبهِ النيران . فقام ينظر ذاك القائل فلم يرَ احدًا في جنح الظلام فأخذ الفلق ونزل من مكانهِ الى اسفل الوادي ومشى من شاطئ النهر فسمع ايضًا هذه الابيات

ان كنت تضمر ما في الحب اشفاقا فاطلق الدمع يوم البين اطلاقا
بيني وبين أحبائي عهود هوًى لذا اليهم اظل الدهر مشتاقا
ترتاح قلبي الى تيم ويطربني نسيم تيم اذا ما هبَّ اشواقا
يا سعد هل ربة الخلخال تذكرني بعد البعاد لنا عهدًا وميثاقا
وهل تعود ليالي الوصل تجمعنا يومًا ويشرح كلٌّ بعض ما لاقى
قالت فتنتَ بنا وجدًا فقلتُ لها كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لا متع الله طرفي في محاسنها
ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
يا لسعةً في فؤادي ما رأيت لها سوى الوصال ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع هذه الابيات وكثرة الشكوى والانين عرف ان القائل مثله عاشق منع عن الوصول الى من يهواه . فقال في نفسه لعلي اجتمع بهذا فيشكوا كل واحد منا لصاحبه واجعله انيسي في غربتي . ثم بحث عنه فرآه فسأله عن حاله فقال : عشقت فتاة من الشام حسنة الخصال بديعة الجمال فحرمني ابوها منها واورثني الهم والقلق فخرجت هائمًا كما ترى فرق له قلبه وجعل يأنس به واخبره بحاله ايضًا فصار يشكي كلٌّ لصاحبه ويبوح له بما في قلبه من ألم البعد وقاتل الغرام أما انه فانها في ثاني الايام قعدت تنتظر حسب العادة فلم ترَ له وجهًا فعلمت ان حزنه الزائد حداه الى الهيام والنأي عن الاوطان فسكبت العبرات وأنشدت :

علمنا بانا بعد غيبتكم نبلى ومدت فسي للفراق لنا نبلا

وقد خلفوني بعد شد رحالهم اعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
اتت هتفت بي جنح ليل حمامة مطوقة ناعمت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلي حزينة لما لبست طوقًا ولا خضبت رجلا
وفارقني الفي فألفيت بعده دواعي هم لا تفارقني اصلا

ثم انها الفت البكاء واشتهر حزنها بين الجميع حتى علمت بذلك ابنة عمهِ فرق قلبها وندمت على فعلها وانشدت تصف ما عندها:

فعندي يا ابن عمي من غرامي كامثال الذي قد حل عندكْ
ولكني كتمت الناس وجدي فهلا كنت انت كتمت وجدك

ثم علم ابوها بذلك الخبر وان ابنتهُ صارت في حب زائد لهُ فخشي من ضرٍ يقع بها ان غض طرفهُ عنها فبعث من يبحث عنهُ فوجدوه فأتوا بهِ واعلموه بذلك ثم دنعت اليهِ ابنة عمهِ وعاش معها على احسن حال

عمرو وزوجته

قال ابرهيم بن ميمون: حججت ايام الرشيد فبينا أنا في مكة اجول في سككها فاذا انا بسوداء قائمة ساهية فانكرت حالها فوقفت انظر اليها. فمكثت كذلك ساعة ثم قالت:

اعمرو علامَ تجنبني اخذت فؤادي فعذبني
فلو كنت ياعمرو خبرتني اخذت حذاري فما نلتني

فدنوت منها فقلت: ياهذه من عمرو فارتاعت من قولي وقالت

زوجي . فقلت وما شأنهُ . قالت اخبرني انهُ يهواني . وما زال يدس اليّ ويشكو شدة وجده حتى تزوجني . فلبث معي قليلاً وكان لهُ عندي من الحب مثل الذي كان لي عنده . ثم مضى الى جدة هو وتركني . قلت فصفيه لي . فقالت احسن من تراه . وهو اسمر حلو ظريف . فقلت فخبريني . اتحبين ان اجمع بينكما . قالت فكيف لي بذلك وظنتني اهزأ بها . فركبت راحلتي وصرت الى جدة . فوقفت في المرفىء انبصر من يعمل في السفن وانادي يا عمرو يا عمرو . فاذا انا به خارج من سفينة فعرفتهُ بالصفة فقلت : ياعمرو على ماتجنيني . فقال آمرأيتها وسمعتهُ منها . ثم اندفع يغنيو . فاخذتهُ منهُ وقلت الا ترجع . فقال بأبي انت ومن لي بذلك . ذلك والله احب الاشياء الي . ولكن منع منهُ طلب المعاش . قلت كم كيفيك كل سنة . قال ثلاثمائة درهم . فاعطيتهُ ثلاثة آلاف درهم وقلت هذه لعشر سنين وردتهُ اليها وقلت لهُ اذا فنيتْ اوقاربت الفناء قدمت عليّ فسررتك والاّ وجهت اليك وكان ذلك أحب اليّ من الحج

﴿ محاورة الجواري المختلفات الالوان ﴾

كان رجل في بغداد من أرباب النعم ولهُ ست جواري حسان مختلفات الالوان الاولى بيضاء والثانية سمراء والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامسة صفراء والسادسة سوداء . فأحضر هؤلاء الجواري يوماً بين يديهِ مع ما لزم من الشراب . ثم ملأ الكاس وقدمهُ الى الجارية البيضاء وامرها بالغناء فأخذتهُ من يده وانشدت :

لي حبيب مثاله نصب عين ... واسمهُ في جوارحي مكنونُ
ان نذكرته فكلي قلوبٌ ... او تأملتهُ فكلي عيونُ
قال لي عاذلي انسلو هواه ... قلت ما لا يكون كيف يكونُ
قلت ياعاذلي امضي عني ودعني ... لا تهون عليَّ ما لا يهونُ

فطرب مولاها وشرب الكاس . ثم ملأ كأسًا أخرى وقدمها الى الجارية السمراء . فأخذت الكاس وانشدت تقول :

وحياة وجهك لا أحب سواكا ... حتى أموت ولا اخون هواكا
يا بدر تمّ بالجمال مبرقعًا ... كل الملاح تسير تحت لواكا
أنت الذي فقت الملاح لطافة ... والله رب العالمين سبا كا

ثم قدم كاسًا أخرى الى الجارية السمينة وامرها بالغناء . فأخذت الكاس وانشدت :

ان صح منك الرضا يامن هو الطلبُ
فلا ابالي بكل الناس ان غضبوا
وان تبدى صدودك الجميل فلم
اعبأ بكل ملوك الارض ان حجبوا
قصدي رضاك من الدنيا بأجمعها
يا من اليهِ جميع الحسن ينتسبُ

ثم قدم الكاس الى الجارية الهزيلة وامرها بالغناء . فأخذت الكاس وانشدت تقول :

الا في سبيل الله ما حل لي منكا ... بصدك عني حيث لا صبر لي عنكا
الا حاكم في الحب يحكم بيننا ... فيأخذ لي حقي و ينصفني منكا

ثم قدم كأسًا اخرى الى الجارية الصفراء . فأخذت الكأس وانشدت :

لي حبيب اذا ظهرت اليه ... سل سيفًا عليَّ من مقلتيه
اخذ الله بعض حقيَ منه ... اذ جفاني ومهجتي في يديه
كلما قلت يا فؤادي دعه ... لا يسل الفؤاد الا اليه
هو سؤلي من الانام ولكن ... حسدتني عين الزمان عليه

ثم قدم الكاس الى الجارية السوداء وامرها فأنشدت :

الا ياعين با لعبرات جودي ... فوجدي قد عدمت به وجودي
اكابد كل وجد من حبيب ... الفت به ويشمت بي حسودي
وتمنعني المواذل ورد خدٍّ ... ولي قلب يحن الى الورود
لقد دارت هناك كؤوس راح ... بافراح لدى طرب وعود
ووافاني الحبيب فهمت فيه ... واشرق بالوفا نجم السعود
تصدى للصدود بغير ذنب ... وهل شيء امرُّ من الصدود
وفي وجناته ورد جنيٌّ ... فيا لله من ورد الخدود
فلو ان السجود يحل شرعًا ... لغير الله كان له سجودي

وبعد ذلك قال لهن : فلتقف كل واحدة منكن وتمدح نفسها وتذم غيرها ولكن ذلك بدليل من القرآن وشيء من الاشعار لننظر ادبكنّ وحسن فصاحتكنّ . فأجبنه الى ذلك وقامت البيضاء واشارت الى السوداء وقالت لها : ويحكِ يا سوداء قد ورد ان البياض قال انا النور اللامع انا البدر الساطع لوني ظاهر وجبيني زاهر وفي حسني قال الشاعر :

بيضاء مصقولة الخدين ناعمة
كأنها لؤلؤ في الحسن مكنونُ
فقدها الفٌ بزهو ومبسمها
ميم وحاجبها من فوقهِ نونٌ
كأنّ الحاظها نبلٌ وحاجبها
قوسٌ على انهُ بالموت مقرونُ
بالخد والقد ان تبدو فوجنتها
ورد وآس وريحان ونسرين
والغصن يُعهد في البستان مغرسهُ
وغصن قدك كم فيهِ بساتين

فلوني مثل النهار الهني والزهر الجني والكوكب الدري . وقد قال الكتاب موجها الى موسى : وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء . وقال : واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون . فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية وعلى مثلي يحسن الملبوس واليهِ تميل النفوس ثم أنشدت تقول :

الم ترَ ان الدرّ يغلو بلونهِ وان سواد الفحم حمل بدرهمِ
وان الوجوه البيض تدخل جنة وان الوجوه السود حشو جهنم

فلما انتهت من كلامها أشار الى السوداء . فقامت مشيرةً الى البيضاء وقالت : اما علمتِ انهُ ورد في القرآن الشريف قولهُ تعالى : والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى . ولولا افضلية الليل على النهار لما اقسم بهِ وقدمهُ عليهِ . اما علمتِ ان السواد زينة الشباب فاذا نزل المشيب

ذهبت اللذات ودنت اوقات الممات . ولو لم يكن اجل الاشياء لما جعلهُ الخالق في حبة القلب وما أحسن قول الشاعر :

لم أعشق السمر الاَّ من حيازتهم لون الشباب وحبِّ القلب والحدق
ولا سلوت بياض البيض عن غلطٍ اني من الشيب والاكفان في فرقِ

وهل يحسن اجتماع الاحباب الاَّ في الليل الحالك حيث يستترون عن كل ناظر رقيب . وما أحسن قول الشاعر :

وكم ليلةٍ بات الحبيب موآنسي وقد سترتنا من دجاه ذوائبُ
فلما بدا نور الصباح اخافني فقلت له ان المجوس كواذبُ

ولو ذهبت اذكر ما في السواد من المدح لطال الشرح . واما أنتِ يا بيضاء فلونك لون البرص والنظر في وجهك يجلب الغصص . ومن فضيلة السواد ان منهُ المداد الذي يكتب بهِ كلام الله . ولولا سواد المسك والعنبر ما كان الطيب يحمل للملوك ولا كان يقول الشاعر :

الم ترَ ان المسك يعظم قدره وان بياض الجير حمل بدرهمِ
وان بياضَ العين يقبح بالفتى وان سواد العين يرمي بأسهم

ولما انتهت من كلامها قامت السمينة واشارت بيدها الى الهزيلة وكشفت عن معاصمها وقالت : الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي وسمني فأحسن سمنتي وشهني بالاغصان وزاد في حسني وبهجتي . وقال في كتابهِ العزيز : وجاء بعجلٍ سمينٍ . وان أهل المدن يشتهون الطير السمين ولا يأكلون الطير الهزيل وما أحسن قول الشاعر :

ودِّع حبيبك ان الركب مرتحلُ وهل تطيق وداعًا أيها الرجلُ

كأن مشيتها في بيت جارتها مشي السمينة لاريث ولاعجلُ

واما أنتِ يا رفيعة فكأنك عمراك التنور او خشبة المصلوب وليس فيك شيءٌ يسرُّ الخاطر ولا لطف يجذب الشاعر

فلما انتهت من كلامها قامت الهزيلة كأنها غصن بان او قضيب خيزران وقالت : الحمد لله الذي خلقني وصورني جليلة المحاسن وشبهني بالغصن الذي تميل اليهِ القلوب . فان قمت قمت خفيفةً وان جلست جلست ظريفةً . فأنا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس عند الارتياح . وما رأيت أحدًا وصف حبيبهُ فقال حبيبي قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وانما حبيبي لهُ قدٌّ اهيف وقوام مهفهف . فاليسير من الطعام يكفني والقليل من الماء يرويني . فانا انشط من العصفور مليحة القوام حسنة الابتسام ليس لي في الجمال مماثل كما قال الشاعر :

شبهت قدّك بالقضيب وجعلت شكلكِ من نصيبي
وغدوت خلفك هائمًا خوفًا عليكِ من الرقيبِ

وفي مثلي يهيم العشاق وبنولهُ المشتاق . وها انت سمينة البدن لا تشبعين من القليل ولا يكفيك الاكل الكثير. اي شيء في غلظتكِ من الملاحة او في فظاظتك من اللطف والسماحة ان مشيتِ هشت وان اكلت ما شبعت ما لك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل الاّ الاكلَ والنوم وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل وقد صدق الشاعر حيث يقول :

اذا مشت في بلاد الغرب او خطرت
سرى الى الشرق ما تبدي من الهبل

فلما انتهت من كلامها قالت الصفراء وأشارت بيدها الى السمراء وقالت لها انا المنعوتة في القرآن ووصف لوني الرحمن وفضلهُ على سائر الالوان بقوله في كتابهِ المبين « صفراء فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين » فلوني لون الدينار ولون النجوم والاقمار ولون التفاح وشكلي شكل الملاح . ولون الزعفران يزهو على سائر الالوان . وفي مثلي قال الشاعر

لها اصفرار كلون الشمس مبتهج
وكالدنانير في حسن من النظرِ
ما الزعفران يحاكي بعض بهجتها
كلا ومنظرها يعلو على القمر

اما انت يا سمراء فانك لون الجاموس تشمئز منك النفوس ان كان لونكِ في شيء فهو مذموم وان كان في طعام فهو مسموم . وما سمعت قط بذهب اسمر ولا درّ ولا جوهر فلست سوداء فتعرفي ولا بيضاء فتوصفي وقد قال الشاعر

لون الهباب لها لون فغيرتها كالترب تُدهس في اقدام قصادِ
فما نظرت لها بالعين ارمقها الاّ تزايد بي همي وانكادي

ولما انتهت من كلامها قامت السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال لها جسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد اسيل ووجه مليح ولسان فصيح فقالت : الحمد لله الذي خلقني لا بيضاء كالبرص ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب . بل جعل لوني معشوقاً لاولي الالباب وسائر المادحين والشعراء وقد قيل :

وفي السمر معنى لو علمت بيانهُ لما نظرت عيناك بيضاً ولا حمرا
ليـاقة الفاظ وغنج لواحظ تعلم هاروت الكهانة والسحرا

وقول الآخر

من لي بأسمر تروي عن معاطفهِ
سمر رشاق عوالي سمهريات
ساجي الجفون حريريُّ المزار لهُ
في قلب عاشقهِ المضنى مقاماتُ

فشكلي مليح وقدي رجيح ولوني ترغب فيهِ الملوك ويعشقهُ كل غني وصعلوك . واما انت فظلمة البوم وطعام الزقوم فليس لك في الحسن مآثر وفي مثلك قال الشاعر :

عليها اصفرار زاد من غير علة
يضيق لهُ صدري ويوجعني راسي
اذا لم تشب نفسي فاني اذلهـا
بلثم محيـاها فتقلع اضراسي

ولما انتهينَ من المحادثة اصلح بينهن والبسهن الخلع السنية المحلات بنفيس الجواهر

﴿ العاشق بالنظر وبعض المعمرين ﴾

قال بعض المعمرين : بينما أنا في منزلي اذ دخل علي خادم لي ومعهُ كتاب فقال : رجل بالباب دفع لي هذا الكتاب . ففتحتهُ فاذا فيه :

تجنبك البلاء ونلت خيرًا ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو مننت شفاء لنفسي واعضاء ضنينَ من الكلوم

فقلت عاشق والله ثم قلت للخادم اخرج وائتني به . فخرج فلم يرَ أحدًا . فعجبت من أمره واحضرت الجواري كلهنَّ وسألتهنَّ عمن خرج منهن خارجًا . فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئًا . فقلت اني لم أفعل ذلك بخلاً بن يهوى منكنَّ فمن عرفت بحال هذا الفتى فهي هبة مني له بحالها ومائة دينار . وكتبت جوابهُ اشكره على ذلك واسأله قبولها ووضعت الكتاب امامهن مع المائة دينار وقلت : من عرف شيئًا فليأخذه . فظل الكتاب والذهب اياماً لا يأخذهُ احد فضمني ذلك وقلت هذا قنع بالنظر الى من يحبهُ . فمنعت الجواري من الخروج . فما كان الاَّ يومًا او بعض يوم اذ دخل علي الخادم ومعهُ كتاب وقال : هذا من بعض الاصدقاء بعث به اليك . فقلت اخرج وائتني به . فخرج فلم يجد . فقرأت الكتاب فاذا فيهِ :

ماذا أتيت الى روح معلقة
عند التراقي وحادي الموت حاديها
حثثت حاديها ظلمًا فجد بها
في السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لي تأتي بفاحشة
وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذي اخشى عقوبتهُ
ولا بأضعافها ما كنت آتيها

لولا الحياء لجنا بالذي سكنت
بين الفؤاد وابدينا امانيها

فغمني امره فقلت للخادم: لا يأتينك احد بكتاب الا قبضت عليه. وقرب موسم الحج فبينما انا جالس يومًا اذا فتى الى جانبي على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم علي فرددت عليه السلام ورحبت به. فقال أنصرفني. قلت كلاً. قال اني صاحب الكتابين فانكببت عليه وقلت له يا أخي لقد غمني أمرك واقلقني كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك ومائة دينار. فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلاً من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة. فقلت غفر الله لك والجارية فسر معي الى منزلي لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها في كل سنة. فقال لاحاجة لي بذلك فالححت عليه. فلم يفعل. فقلت له: اما اذا ابيت فصرفني من هي من جواريّ لاكرمها من اجلك ما حييت. فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعني وانصرف. وكان آخر العهد به

الزلفاء وابو زيد الاسدي

قال ابو زيد الاسدي: دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوانه وسط بستان مثمر يانع جميل. وعلى راسه وصائف حسان وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فقلت: السلام عليك أيها الامير. فرفع رأسه وقال: يا أبا زيد في مثل هذا الحين تصافحنا فقلت اصلح الله الامير اوقامت القيامة. قال نعم على أهل المحبة.

ثم اطرق ملياً ورفع رأسهُ وقال : يا أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا . فلت اعز الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء . فأطرق سليمان ملياً لابرد جواباً ثم انحدرت من عينيهِ العبرات . فلما رأت الوصائف ذلك تحين عنهُ . ثم رفع رأسهُ فقال يا أبا زيد : حضرت في يوم انقضاء اجلك وانتهاء مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك . قلت نعم ايها الامير كنت جالساً على باب اخيك سعد بن عبد الملك فاذا انا بجارية خرجت من باب القصر تمشي كالغزال الشارد بذؤابتين تضربان حقويها وحاجبين قوسا على مقاجر عينيها وهي تقول : عباد الله من لي بدواء من لا يسلو وعلاج من لا يسهو . طال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر واللب عازب والنفس واهلة والفؤاد مختلس والنوم محتبس . . رحمة الله على قوم عاشوا تجلداً وماتوا كمداً . . ولو كان الى الصبر حيلة والى الفرار سبيل لكان أمراً جميلاً . ثم أطرقت ملياً ورفعت رأسها فقلت ما بالك ايتها الجارية فقد أذبت مني الفؤاد برقة كلامك وعذب منطقك . فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت اعذر ايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقامات اصعب معاند . ثم انصرفت ايها الامير فوالله ما أكلت طيباً الا غصصت به وما رأيت حسناً الا سمج في عينيّ لحسنها الساعد المنير . فقال سليمان ياأبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يغرب عني من شجو ما سمعت . اعلم يا أبا زيد ان تلك الجارية التي رأيتها هي الزلفاء وهي عاشقة لاحد الفتيان فوالله لابد ان يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها

﴿ دنار بن روق وابنة الامير حماد ﴾

كان ادريد بن الصمة غلام جميل قوي البنية لطيف الكلام يُدعى دنار بن روق بن الصمصام . فبينما كان سائرًا في احياء حماد بن حسان رأى جوادًا له عديم المثال بين جياد العربان . فاحب ان يأخذه ليلاً دون ان يعلم احد . ففكر وذهب قبل المساء ولبث بين خدم الامير . فبينما هو على هذه الحال وقع نظره على النافذة فرأى سعاد بنت الامير حماد وكانت آية في الجمال فوقع حبها في قلبه وكادت تذهب بلبه . فكتم الامر خوف الافتضاح وبقي الى الليل فعمد الى الجواد فأخذه وسار به سرًّا الى اهله . ولما بعد عن الابيات تذكر سعاد التي يهواها فعظم شوقه وانشد :

عدمت فؤادي في الهوى ان سلاكمُ
فان فؤادي لا يحبُّ سواكمُ
وان نظرت عيني الى غير حسنكم
فلا سرها بعد البعاد لقاكم
حلفت يمينًا لست اسلو جمالها
وقلبي حزين مغرمٌ بهواكم
سقاني الهوى كأسًا من الحب صافيًا
فيا لينه لما سقاني سقاكم
خذوا رمقي حيث استقرت بكم نوى
وابن حللتم فادفنوني حذاكم

وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم
اين عظامي عند رفع نداكم
فلو قيل لي ماذا على الله تشتهي
لقلت رضا الرحمن ثم رضاكم

اما الامير حماد فانهُ عند الصباح امر باحضار الفرس فلم يجدها فزادت منهُ الحيرة والاندهاش وقال : من احضر لي فرسي أعطيتهُ ما يشاء فعلم بذلك دثار بن روق فقدم اليهِ وقال : احقٌ ما ذكرت . قال نعم والله لو طلب أعز شيء لديَّ . قال : اتعطي بنتك سعاد زوجة لهُ . قال : اعطيها . فاحضر لهُ الفرس وأخذ بنتهُ سعاد فلما رأتهُ دهشت من جمالهِ فوقع حبهُ ايضًا في قلبها وعاشا معًا على احسن حال

صخرة بن المغيرة والجارية

قال حسين الخليع : خرجت في بعض السنين مخدرًا الى البصرة ممتدحًا محمد بن سليمان الربعي بقصيدةٍ . فقبلها وأمرني بالمقام . فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي . فأصابني حرٌّ شديد فدنوت من باب كبير لأستسقي واذا انا بجارية كأنها قضيبٌ ينثني وسناء العينين جزاء الحاجبين اسيلة الخدين عليها قميص جلناري ورداء صنعاني وقد غلبت شدة بياض بدنها حمرة قميصها ولها حاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان اسيلان وانفٌ اقني تحتهُ ثغرٌ كاللؤلؤ واسنان كالدر وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز تروح وتجيء

تخطار على اكباد محبيها في مشيها . فدنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبق بالمسك . فسلمت عليها فردّت عليّ بلسان خاشع وقلب حزين يلهب الوجد محترق . فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب وأصابني عطش أفتأمرين لي بشربة ماء . قالت اليك عني أيها الشيخ فاني مشغولة عن الماء والزاد فقلت لاي علة يا سيدتي . قالت لاني احب من لا ينصفني واريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة بمراقبة الرقباء . قلت وهل يا سيدتي على بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك . قالت نعم وذلك لفضل ماركّب فيه من الجمال والكمال والدلال . قلت وما وقوفك في هذا الدهليز . قالت هنا طريقه وهذا وقت اجتيازه . فقلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتما في وقت من الاوقات وتحدثتما حديثاً أوجب هذا الوجد . فتنفست الصعداء وارسلت دموعها على خدها كطلّ سقط على ورد ثم أنشدت تقول :

وكنا كغصني بانةٍ فوق روضةٍ نشمّ جنى اللذات في عيشة الرغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيامن رأى فردًا يحن الى فردِ

قلت يا هذه ما بلغ من حبكِ لهذا الفتى . قالت أرى الشمس على جدران أهلهِ فأحسب انها هو وربما أراهُ بغتة فأبهت ويهرب الدم من جسدي وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل . فقلت لها اعذريني فاني على مثل مابكِ من الصبابة مشتغل البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى بك من شحوب اللون ورقة البشرة ما يشهد بتباريح الهوى وكيف لا يسلك الهوى وانت مقيمة في أرض البصرة . قالت كنت قبل محبتي هذا الغلام في غاية الدلال بهية الجمال والكمال ولقد

فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتتن بي هذا الغلام . قلت يا هذه ما الذي فرّق بينكما . قالت نوائب الدهر وحديثي وحديثه شأن عجيب وذلك اني قعدت في يوم نيروز ودعوت عدة من جواري البصرة وفي تلك الجواري جارية سيران وكانت لي محبة ولي مولعة . فلما دخلت رمت نفسها عليّ ثم خلونا نتنعم بالشراب الى ان ينهيأ طعامنا ويتكامل سرورنا وكانت تلاعبني والاعبها ثملين بخمرة الطرب فبينما نحن كذلك اذ دخل هو علي حين غفلة فرأى ذلك فاغتاظ لذلك وانصرف عني انصراف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجاً . فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين لم أزل أعتذر اليه واتلطف به واستعطفه فلا ينظر اليّ بطرفٍ ولا يكتب اليّ بحرفٍ ولا يكلم لي رسولاً ولا يسمع مني قليلاً . قلت لها يا هذه أمن العرب هو أو من العجم . قالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة . فقلت لها أشيخ هو أم شاب . فنظرت اليّ شزراً وقالت انك أحمق هو مثل القمر ليلة البدر أجرد أمرد لا يعيبه شيء غير فراقه عني . فقلت لها ما اسمه . قالت ما تصنع به . قلت أجتهد في لقائه لأجمع بينكما . قالت على شرط أن تحمل اليه رقعة مني . قلت لا أكره ذلك . فقالت اسمه صخرة ابن المغيرة ويكنى بأبي السخاء وقصره بالمربد . ثم صاحت على من في الدار هاتوا الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كأنهما طوقان من فضة وكتبت :

سيدي — ان ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبيء عن تقصيري واعلم ان دعائي لو كان مستجاباً ما فارقتني لاني كثيراً ما دعوت ان لا

تفارقني وقد فارقتني ولولا ان الجهد تجاوز بي حد التقصير لكان ما تكلفتهُ خادمتك من كتابة هذه الرقعة معيناً لها مع يأسها منك لعلها ذلك تترك الجواب . وأقصى مرادي سيدي نظرة اليك وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحيي بها نفساً ميتة واجل من ذلك عندها أن تخط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقمةً تجعلها عوضاً عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكرها سيدي ألست لك محبة مدنفة فان أجبت الى المسالمة كنت لك شاكرة ولله حامدة والسلام

فتناولت الكتاب وخرجت وغدوت الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلساً محتفلاً بالملوك ورأيت غلاماً قد زان لمجلس وفاق على من فيهِ جمالاً وبهجة قد رفعهُ الامير فوقهُ . فسألت عنهُ فاذا هو صخرة بن المغيرة . فقلت في نفسي بالحقيقة حلَّ بالمسكينة ما حل بها . ثم قمت وقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب فوثبت اليهِ وبالغت في الدعاء لهُ وناولتهُ الرقعة . فلما قرأها وفهم معناها قال لي : يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان تنظر الى البديل قلت نعم . فصاح على فتاة واذا هي جارية تخجل القمرين ناهدة الثديين تمشي مشية من غير وجل فناولها الرقعة وقال اجيبي عنها . فلما قرأتها اصفرَّ لونها لانها عرفت ما فيها وقالت يا شيخ استغفر الله ما جئت فيهِ . فخرجت اجر الاذيال حتى أتيتها فاستأذنت عليها ودخلت . فقالت ما وراءك فاطلعتها الخبر . فقالت لا بأس واكرمتني وبعد ايام مررت على ذلك المكان فوجدت عندها غلاماً فدخلت واذا هم اصحاب صخرة

يسألونها الرجوع اليه وهي تقول لا نظرت له في وجهه . فسجدت شكرًا لله ودنوت من الجارية فأرتني رقعة فيها : سيدتي — لولا اتقائي عليكِ ادام الله سيانك لرضيت شطرًا مما حصل منك وبسطت عذري في ظلامتك اياي اذ كنتِ الجانية على نفسك وانسي المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء فخالفت هواي والله المستعان على ما كان والسلام . واوقفتني على ما حملهُ اليها من الهدايا والتحف واذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار . ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها صخرة وعادا الى سابق المحبة

يحيى بن خالد والجارية دنانير وعقيل

كانت دنانير جارية حسناء اديبة بارعة بفن الغناء . فلما رآها يحيى بن خالد البرمكي شغف بها واشتراها . وكان الرشيد يسير الى منزله ويسمعها حتى انها واشند عجبهُ بها فامدى لها عقدًا قيمتهُ ثلاثون الف دينار . فعلمت زبيدة بحالهِ فساءها ذلك وشكت أمرها الى اهلهِ فعاتبوه على ذلك . فقال مالي في الجارية أرب وانما أربي في غنائها فاسمعوها فان استحقت ذلك كان بهِ والاَّ فقولوا ما شئتم . فذهب بهم اليها وهي عند يحيى . فلما سمعوها عذروهُ وعادوا الى زبيدة واشاروا عليها ان لا تلح في امرها . فقبلت ذلك وسكتت عنها ثم اهدت الى الرشيد هدية تسترضيهِ بها . فقبلها منها . وكانت دنانير فاقت اقرانها بصنعة العود وفن الغناء حتى شهد لها بذلك اشهر المغنين في عصرها . فلبثت عند

البرامكة دهرًا طويلاً . فرآها عقيل مولى صالح بن الرشيد فوقع حبها في قلبه فردته . فاستشفع عليها اناسًا . فلم تجبه . فكتب اليها

يا دنانير قد تنكر عقلي وتحيرت بين وعد ومطل
شفني شافعي اليكِ والا فاقتليني ان كنت تهوين قتلي
ما احب الحياة يا اخت ان لم يجمع الله عاجلاً بك شملي

فكان كما لكاتب على صفحات الماء . فاشتد به الحال وزاد منه الوجد والضنى حتى اعتراه السقام فمات على اثر علة دون ان يجد لها دواء شافيًا ومرضت بعد ذلك الجارية دنانير فشفق عليها يحيى وصار يتصدق على الفقراء حبًا بشفائها

ولما نكبت البرامكة ويحيى منها — دعاها الرشيد اليه وامرها ان تغني . فقالت يا أمير المؤمنين آليت ان لا أغني بعد سيدي ابدًا . فغضب الرشيد وامر بصفعها . فصفعت واقيمت على قدميها واعطيت العود . فاخذته وهي تبكي امر بكاء . وغنت صوتًا يفتت الجلمود حزنًا فرق لها الرشيد وامر باطلاقها

امة العزيز الاندلسية والقاضي قاسم العقياني

كانت امة العزيز ابنة وهبة الاندلسية ذات قناع تفرعت من دوحة سناء وتجردت من سلالة اكابر واشراف رماة اسرة منابر من بني عبد مناف . فانشدت يومًا الى الحافظ ابي الخطاب هذين البيتين

لحاظكم تجرحنا في الحشا
ولحظنا يجرحكم في الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا
فما الذي اوجب جرح الصدودْ

فعجب الحافظ لرقة معانيها وكتب البيتين في كتابه المطرب من أشعار المغرب . فلما قرأها القاضي قاسم العقباني الغلمساني قال ان هذين البيتين يحتاجان الى جواب . وكتب اسفلها هذين البيتين

اوجبهُ منيَ يا سيدي جرح بخد ليس فيهِ جحودْ
وانت فيما قلتهُ مدّعٍ فابن ما قلتَ وابن الشهودْ

تحفة الزاهدة وتاجر من بغداد

كان لاحد تجار بغداد جارية بارعة في الجمال تحسن صنعة العود وتدرك من العلم والادب ما يندر في مثالها . فبينما هي ذات يوم جالسة والعود في حجرها انشدت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدًا ولا كدرت بعد الصفو ودًّا
ملأت جوانحي والقلب وجدًا فكيف ألذُّ او اسلو وأهدا
فيا من ليس لي مولى سواه تراك تركتني في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت وانتحبت . فاتهمها سيدها بمحبة انسان فاستقصى عن ذلك فلم يجد له اثرًا . فحار سيدها في امرها ولم يجد لها سلوًّا عن الاكتئاب والهيام وقيام الليل ومناشدة الاشعار وطول التذكار وتشتت الافكار . فسألها عما اصابها . فانشدت

خاطبني الحق من جناني فكان وعظي على لساني
قربني منهُ بعد بعدٍ وخصني الله واصطفاني

اجبت لما دعيت طوعاً ملبياً لندى دعاني
وخفت مما جنيت قدماً فاوقع الحب بالامان

ولما اعيتهُ الحيل ذهب بها الى البيمارستان راجياً ان تشفى مما أصابها ولما دخلت البيمارستان اودعوها في حجرة مغلولة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأت ذلك بكت بكاء مرًّا وانشدت تقول

اعيذك أن تغل يدي بغير جريمة سبقتْ
تغل يدي الى عنقي وماخانت وماسرقت
وبين جوانحي كبدٌ احس بها قد احترقت
وحقك يا منى قلبي يقيناً برة صدقت
فلو قطعتها قطعاً وحقك عنك مارجعت

وبعد ذلك بايام دخل عليها السري السقطي فوجدها انضر الناس وجهاً واحسنهم خلقاً وخلقاً وقد عبق شذاها فعطر الارجاء وسطع نورها فاخجل الهلال . فسأل عنها القيم فقال هي جارية مملوكة قد اختل عقلها فحبسها مولاها لعلها تنصلح . فلما سمعت كلامه اغرورقت عيناها بالدموع ثم انشدت

معشر الناس ما جنيت ولكن
انا سكرانة وقلبي صاحي
اغللتم يدي ولم آت ذنباً
غير جهدي في حبه وافتضاحي
انا مفتونة بحب حبيب
لست أبغي عن بابه من براح

فصلاحي الذي زعمتم فسادي
وفسادي الذي زعمتم صلاحي
ما على من احب مولى الموالي
وارتضاه لنفسه من جناح

فسمع السري ما اقلقهُ واشجاه واحرقهُ وابكاه . فلما رأت دموعهُ قالت يا سرّي هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفتهُ حق معرفتهِ ثم اغمي عليها فلما أفاقت انشدت تقول

البستني ثوب وصل طاب ملبسهُ
فانت مولى الورى حناً ومولائي
كانت بقلبي اهواء مفرقة
فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائي
من غصّ داوى بشرب الماء غصتهُ
فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبي حزين على ما فات من زللٍ
والنفس في جسدي من اعظم الداء
والشوق في خاطري مني وفي كبدي
والحب مني مصون في سويدائي
اليك منك قصدت الباب معتذراً
وانت تعلم ما ضمتهُ احشائي

فقال لها السري يا جارية سمعتك تذكرين المحبة فلمن تحبين قالت لمن تعرف الينا بنعمائهِ وجاد علينا بجزيل عطائهِ فهو قريب الى القلوب

عجيب لطالب المحبوب سمع بديع ثم انشأت

قلبي أراه الى الاحباب مرتاحا
سكران من راح حب بالهوى باحا
يا عين جودي بدمع خوف هجرهم
فربّ دمع اتى للخير مفتاحا
ورب عين رآها الله باكية
بالخوف منه تنال الروح والرحا
لله عبد جنى ذنبًا فأحزنهُ
فبات يبكي ويبكي الدمع سفاحا
مستوحش خائف مستيقن فطن
كأنّ في قلبهِ للنور مصباحا

فبينما هم كذلك اذا بسيدها أقبل فقال للقيم: أبن تحفة. قال هي داخل وعندها السري السقطي. ففرح سيدها ودخل وسلم عليهِ وعظمهُ. فقال لهُ السري. هي أولى بالتعظيم مني فما الذي تكرههُ منها حتى حبستها ههنا. فقال امور كثيرة. وجعل يعدد لهُ خصالها. فقال لهُ السري عليّ الثمن وازيدك ان تخلني اياها. فصاح سيدها. وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية وانت رجلٌ فقير. فقال لهُ لا تعجل دعها في المارستان حتى آتي بثمنها. ثم ذهب باكي العين رأفة على الجارية حتى طرق باب احمد بن المثنى فأخبرهُ بالخبر. فدفع لهُ ثمنها ومثلهُ معهُ. فلما كان الغد أقبل الى المارستان فقال لهُ. قد جئتك بثمن الجارية ومثلهُ معهُ. فقال لا والله لو أعطيتني الدنيا ما

قبلتها بل هي حرة لوجه الله تعالى . فلما سمعت الجارية بكت بكاء مرًّا وأنشأت تقول

هربتُ منهُ اليهِ بكيت منهُ عليهِ
وحقهِ هو مولى لا زلت بين يديهِ
حتى أنال واحظى بما رجوت لديهِ

ثم توجهت الى مكة وهناك دخلت الكعبة وجعلت تقول

محبُّ الله في الدنيا سقيمٌ تطاول سقمهُ فدواهُ داهُ
سقاهُ من محبتهِ بكأسٍ فأرداهُ المهيمن اذ سقاهُ
فهام بحبهِ وسما اليهِ فليس يريد محبوبًا سواهُ
كذاك من ادّعى شوقًا اليهِ يهيم بحبهِ حتى يراهُ

ثم مكثت على ذلك مدة وهي بين الخوف والرجاء الى أن توفاها الله بمكة المكرمة

﴿ محمد بن طاهر وجارية بنت المهدي ﴾

كان محمد بن عبدالله بن طاهر يحب دوسة جارية علية بنت المهدي العباسي وكانت ذات حسنٍ وجمال وبهاء وكمال وادب مالهُ مثال تعلمت الغناء حتى صارت أحسن المغنين والمغنيات وساعدها على ذلك صوتها وحدة ذهنها وشدة استحضارها . وكانت تختلف الى الامير محمد بن عبدالله بن طاهر وترتاح لمنادمتهِ وهو يشتاق لسماع صوتها .

فجلس محمد بن عبدالله يوماً في مجلس انسه وكان عندهُ صديقهُ الحسن ابن محمد بن طالوت . وكان اخص به . فقال له لابدَّ لنا في يومنا هذا من ثالث نطيب بمعاشرته ونلتذ بصحبته ومؤانسته حتى نسمع صوت تنوسة فمن تُرى يكون طاهر الاعراق غير دنس الاخلاق . فاعمل فكرهُ الحسن وأمعن نظرهُ وقال . أيها الامير قد خطر ببالي رجل ليست علينا في مجالسته كلفة خفيف الرّوح أنيس المحضر . قال ومن ذاك . قال مان الموسوس . قال أحسنت والله فتقدم بطلبه . فما كان بأسرع من أن جاء به اليه فقال . السلام عليك أيها الامير . فقال عليك السلام يا مان ألم بإن أن تزورنا على حين تتوق اليك ونتازع قلوبنا نحوك . فقال مان . الشوق شديد والمزار بعيد والحجاب عنيد ولو سهل الاذن لهانت علينا الزيارة . فقال لقد الطفت في الاستئذان فلا تُمنع في أي وقت جئت ان ليلاً وان نهاراً . ثم اذن له فجلس ودعا له بالطعام فاكل ثم عاد الى مجلسه . وكان محمد تشوّق الى السماع من تنوسة جارية ابنة المهدي فأُحضرت . فكان أول ما غنت

ولست بناسٍ اذ غدوا فحملوا
دموعي على الاحباب من شدة الوجدِ
وقولي وقد زالت بليلٍ حمولهم
بواكر تغدي لا يكن آخر العهدِ

فقال مان : أحسنت والله ألا زدت فيه

أقمت اناجي الفكر والدمع حائرٌ بمقلة موقوفٍ على الجهد والضدِّ

ولم يعدني هذا الامير بعزّهِ على ظالمٍ قد لجّ في الهجرِ والبعدِ

فاندفعت تغنيه . فرقّ محمد بن عبدالله له وقال . أعاشق أنت يا مان . فاستحيا مان . وغمزهُ ابن طالوت ان لا يبوح له بشيءٍ فيسقط من عينيهِ . فقال بل هلع وطرب أعزّ الله الامير وشوق كان كامناً فظهر وهل يعد المشيب من صبوة . ثم اقترح محمد على تنوسة انشاد هذين البيتين لابي المناهية

حجبوها عن الرّياح لاني قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرحيل الكلاما

فغنتهُ . فطرب محمد ثم دعا ببرطل فشرب . فقال مان . ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيهِ

فتنفستُ ثم قلتُ لطيفي آه لو زرت طيفها الماما
خصها بالسلام سترًا والاّ منعوها لشقوتي أن تناما

فكان أبعث للصبابة بين الاحشاء والطف تقلقلاً على كبد الظمآن من زلال الماء مع حسن تأليف نظامهِ وانتهائهِ الى غاية تامهِ . فقال محمد : أحسنت والله يامان . ثم أمر تنوسة فأردفت هذين البيتين . ثم غنت لابي نواس

يا خليليّ ساعة لا تريا وعلى ذي صبابةٍ فأقيما
ما مررنا بدار زينب الاّ فضح الدمعُ سرّنا المكتوما

فاستحسنهُ محمد . فقال مان لولا رهبة النعدي لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على مسمع ذي لب الاّ صدّ استحسانهُ . فقال محمد : الرغبة فيما تأتي بهِ حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك . فقال

ظبية كالغزال او لحظ الصفر م بطرف لفـادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ما تبدي م من الثغر لؤلؤا منظوما

قال محمد أحسنت والله فأجز

لم تطب اللذات الاّ لمن طابت له اللذّات تنوسه
غنت بصوت أطلقت عبرةً كانت بحسن الصبر محبوسه

فقال مان

وكيف صبر النفس عن غادةٍ تظلمها ان قلت طاووسه
وجرت ان شبهتها بانةً في جنة الفردوس مغروسه

ثم سكت . فقال محمد : اعد لي وصفك لها فقال :

وغير عدلٍ ان قرنا بها جوهرةً في التاج مغروسه
جلت عن الوصف فما فكرةٌ تلحقها بالنعت محسوسه

فقالت تنوسه . وجب علينا يا مان شكرك فساعدك دهرك وعطف عليك الفكر وقارنك سرورك وفارقك محذورك . فشكرها مان وانصرف وقد لقي من محمد بن طاهر لطفاً رائقاً ورضاء

الحسن بن وهب البصري

قال شيخ من اهل البصرة : لقيت الحسن بن وهب فاردت ان امتحن سلامة طبعه ومهي نفاحة فاريته اياها وسألته ان يصفها . فقال لي : نحن على طريق ولكن مل بنا الى المسجد . فملنا اليه . فأخذها وقلبها بيده وقال :

يارب تفاحة خلوت بها تشعل نار الهوى على كبدي
قد بت في ليلتي اقلبها اشكو اليها تطاول الكمد
لو أن تفاحة بكت لبكت من رحمة منه التي بيدي

عبيد الله بن عبد الله وامرأة من هذيل

دخلت بغداد امرأة من هذيل وكانت جميلة جدًا فهام الناس بها فعشقوها وكادت تذهب بعقولهم . فرآها يومًا عبيد الله بن عبدالله فانشد يقول :

احبك حبًا لا يحبك مثله قريب ولا في العاشقين بعيدُ
احبك حبًا لو شعرت ببعضه لجدت ولم يصعب علي شديدُ
وحبيك يا ام الصبي مدلهي شهيد ابو بكر فنعم شهيدُ
ويعرف وجدي قاسم وحمد وعروة ما القى بكم وسعيدُ
ويعلم ما ألقى سليمان علمهُ وخارجة بيدي بنا ويعيدُ
متى تسألي عما أقول وتخبري فوالله عندي طارفٌ وتليدُ

بشار وعبيدة

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة يقال لها عبيدة . فخرجت عن البصرة مع زوجها الى عمان . فأنشد يقول

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرى
واشهى لقلبي ان تهب جنوبُ

وما ذاك الاّ انها حين تنتهي
تجيءُ وفيها من عبيدة طيبُ
عذيري من العذال اذ يعذلونني
سفاهًا وملفى العاذلين لبيبُ
يقولون لو عرّيت قلبك لارعوى
فقلت وهل للعاشقين قلوبُ
اذا انطلق القوم الجلوس فانني
مكبٌّ كأني في الجميع غريبُ

وقال فيها

ولها مبسمٌ كثغر الاقاحي وحديثٌ كالوشي وشي البرودِ
نزلت في السواد من حبة م القلب وزادت زيادة المستزيد
عندها الصبرُ عن لقائي وعندي زفراتٌ يأْكلن صبر الجليد

القسم الثالث

نخبة من مقالات

المرحوم نجيب الحداد

المستقبل لله

هي قصيدة رنانة لفيكتور هيكو الشاعر الفرنساوي الشهير نظمها

بعنوان نابليون الثاني ووصف بها ميلاد هذا الطفل وما كان يرجى لهُ من سعد الطالع وحسن الاستقبال ثم ما صار اليهِ حالهُ وحال أبيهِ من قبلهِ وما لقيا من مرارة الفشل وسوء العقبى بعد تلك الاماني والامال ولما كان قد تقدم لنا شيء من تعريب قصائد هذا الشاعر الكبير فيما تقدم من جريدتنا اليومية وكنا قد وجدنا لهُ حسن الوقع لدى الكثيرين من قرائنا الادباء حببًا بالوقوف على تلك القصائد وما حوتهُ من الاجادة والابداع فقد رأينا ان ننقل لهم هذه القصيدة مشطرين فيها الاصل ما امكن خدمة للأدب واظهارًا لمنظومات اولئك القوم في لساننا العربي اما القصيدة فهي: في العام الحادي عشر من بداية هذا القرن كانت شعوب لاتحصى وامم لاتعد تحدق بقصر اللوفر الكبير احداق الغمام وهي تنظر اليهِ بعين المتأمل وتتطلع نحوهُ بعين المؤمل والقصر في وسطها كانهُ طود النجلي تلمع في خلالهِ بروق الاقبال وتظلل اعالي شرفاتهِ سحائب الامال والناس تموج من حولهِ أفواجًا ويقول بعضهم لبعض سيولد لنا اليوم مولود عظيم واليوم تنتظر الدول العظمى ميلاد وارثها فماذا عسى يرزق الله نابليون الكبير ومن سيكون ولي عهد لهذا الرجل العظيم الذي هو اكبر من قيصر واعظم من رومية وقد جمع في يديهِ مفاتيح الاقدار ومستقبل الشعوب وازمة الممالك وعنان الدنيا يصرفهُ كما يشاء ويقلب كرة الارض على بنانهِ كما يرى . وبينما هم يتساءلون عن ذلك البناء العظيم انفتحت شرفة القصر كما ينفجر الغمام وظهر على الشعب ذلك الرجل العظيم كانهُ يطل على الدنيا بأسرها ويشارف العالم باقطارهِ من رفعتهِ وجلال قدرهِ فخفقت عند ذلك

الاصوات وسكتت الالسنة ثم ارتفعت الابصار لتنظر ما يحمل لها ذلك الجبار بين يديه من بشرى ولاية عهد واذا بها قد اطرقت هيبة واجلالاً لطفل صغير كان يحمله الامبراطور على ذراعيه كانه يبشر به الارض بأسرها ولم يكد ذلك الطفل يظهر للوجود حتى خفقت لانفاسه الضعيفة رايات البلاد كأنها تخفق تحت ريح عاصف وحتى دوت لاهلاله وصوت بكائه افواه المدافع الهائلة وهو بين يدي الله كأنه كوكب دري تحمله شمس منيرة من المجد والفخر ولما اظهر الوالد مولوده لكل تلك الشعوب ورآه تتناوله عوالي الرؤس والتيجان اخذته عزة الملك وتولاه زهو الرئاسة والمجد ونظر الى الدنيا وهو في ابهة نصره وجلاله كما ينظر النسر الى ما تحت مقلته من الهضاب وصاح بصوت المنتصر الظافر · المستقبل لي فأجابه صوت الشاعر من وحي الغيب لا يامولاي ليس المستقبل لاحد ان المستقبل لله · فلا يغرنك ما ترى من عظم الدنيا ومجد الملك وعزة الانتصار وبهاء التيجان ونيل المطامع والامال فان كل ذلك هو باطل وظل زائل لايخيم على فؤاد صاحبه الا كما تخيم السحابة السارية في كبد السماء · وانت ايها المستقبل الذي ندعوك بالغد ونسير واياانا جنباً الى جنب مهما كان الانسان عظيماً ومهما كان التماسة منك شديداً ما يقدر ان يعرف منك شيئاً قبل حينه ولا يمكن ان تنفرج شفتاك عن الخبر اليقين الا متى آن اوانه والعلم لله انما الغد شيء عظيم لانه شيء خفي مستتر لا يعرف كنهه احد ولا نقدر ان ندركه مقلة الانسان · بل هو الارض الواسعة يلقي فيها المرء زارعاً امالهِ والله ادرى متى يكون نباتها ومتى تجنى منها الثمار · بل

الغد برق خاطف لا تدري ما يكون بعده من عواصف الايام وسحاب سارٍ لا تعلم متى تنكشف من تحتو نجوم السماء وقاتل سفاك يسلب نفائس الاعمار وهادم عنيد يهدم صروح الامال ونجم سيار لا يثبت في مكان ولا تقف عليو عين الدليل . بل هو بارز تتبع بابل في دمارها وخرابها وهو شوك الموالد والقهر ينبت على العرش الذي كان بالامس نضرة ونعيماً . انما الغد جوادك ايها الفاتح الكبير يكبو بك ساقطاً برغي ويشرب من اعيائو وكلالو وانما الغد احتراق موسكو تخرج منها وهي نار جاحمة يطبق دخانها الافطار فيزيدها ظلاماً بعد اذ دخلتها منتصراً فاتحاً وبعد اذ كانت عليو بشراً وسلاماً بل الغد جيشك العظيم منتثر الجماجم مبدد الاجسام . بل هو موقعة وانراو الهائلة ونفيك الى تلك الجزيرة القاصية ثم مصيرك بعد ذلك الى القبر انك تقدر يا مولاي ان تفتح المدائن وتدوسها بحوافر جوادك وتحل عند القتال والحروب الاهلية بحد حسامك وتسد النهر الكبير فتمنع مجراه وتأخذ عنان النصر بيدك فلا تترك منهُ فضلة لسواك وتكسر كل باب يقفل في وجهك وتفوت كل ذي شهرة وجد من قبلك وتجعل من مهاز نعلك نجماً يهتدي بو ابصار جنودك وقوادك فان الله قد اعطاك المدى تمرح فيهِ كما تشاء وحفظ في يد الحد الذي يريد ان تقف عنده فلا تتعداه وانك تقدر ان تأخذ الارض باقطارها وتجمع على رأسك العالي كل تيجانها وتلعب بالممالك لعب الاكر من اطرافها الى اطرافها ولكنك لا تقدر ان تأخذ الغد من يد الله . ان في تصاريف الايام لعبرة وان في تقلب الاقدار لذكرى لقد ولد ذلك الطفل الصغير فكان

اول تيجانه وهو في المهد تاج رومه واول الهابه صلب الرومانيين ولقد اظهرته وهو طفل رضيع فعجب الناس كيف يكون الانسان ملكًا عظيماً ويكون طفلاً صغيرًا ولقد جمع له أبواه آثار المفاخر ومجد المعارك والغزوات وشق من سبيل مستقبله صفوف جنود ابطالٍ كانت في نظام قتالها كأنها البنيان المرصوص واقام حول سريره المهتز اسوارًا متينة من صدور العساكر والقواد وصنع له وجه الدنيا على ما يريد كما يصنع الصائغ الماهر قوام التمثال واعد له من صنوف المجد والفخر ما لم يطمع به فاتح ولم يرد في خلد انسان ووضع امامه فرنسا كلها كأسًا ملأها الرجاء والامال ولكن قبل ان يمس تلك الكاس او يذوق من شرابها قطرة ماء اقبل فارس الدهر بجواده فخطف ذلك الصبي من مهد جلاله واردفه في مؤخر سرجه وسار به من بين تلك العظائم والامال كما تقطف الزهرة من بستانها وكما تسقط الثمرة الغضة اذا طرحتها عواصف الريح قبل اوانها اجل لقد كان نابليون الكبير نسرا يحلق في البلاد ويرمي بأبصاره الدنيا ويحوم بجناحيه على العالم بأسره واذا بزوبعة شديدة عصفت به فكسرت جناحيه فسقط من اعلى سمائه كأنه شهاب ثاقب وقد ترك وراءه من المجد الباهر أثرًا مستطيلاً فتهافتت طيور الممالك عليه من كل مكان فأخذت انكلترا النسر واخذت اوستريا فرخه الصغير ولقد اقام ذلك الفاتح اسيرًا ذليلاً في جزيرة مهجورة قاصية ست سنين كاملة ذاق فيها مرارة الوحدة والاسر كأنه الاسد الهائج في قفص من حديد . وان الاسود وان كانت شرسة قاسية فان في صدورها قلوب اباء وهذا الاسد الشديد كان في صدره قلب والد وكان هذا الوالد يحب وحيده بل ان هذا الرجل الذي ملك

الدنيا لم يبق لديه في محبسه الاخير سوى أمرين يلهو بهما عن مصائبه واحزانه اولهما صورة ابنه وهي كل فؤاده والثاني رسم اوروبا وهو كل عماده ونتيجة اجتهاده فكان يجلس كل مساء على شاطئ البحر في منفاه ويرمي ابصاره آفاق السماء ويغرق في بحر عميق من الهموم والافكار كأنه ينظر في الماضي ويكر الطرف على ما تقدم له من الصروف والاحوال . الا انه مع كل ذلك الجمود الطويل واغراق الفكر لم يكن يتذكر آثار سيفه ولا سوابق نصرانه ولا دوي المدافع التي كانت تصب البلاء بأمم وتهتز منها الارض تحت اقدام رجاله وتميل منها الرايات تباعًا كانها ساريات السفائن تكسرها عواصف البحر في هياجه وشدة امواجه . بل كان كل ما يتذكره ويشغل افكاره خيال ذلك الطفل الصغير يتراءى له على بعد المدى وشاسع الاميال فيجني رأسه على يده وتجري دموعه على خديه ويصبح من كان لا يشتري الدنيا بدمعة من دموعه وهو يذرفها مدرارا ضياعًا على تذكار طفل صغير كان يعد له مستقبل العالم فوجد ان المستقبل لله

﴿ المرأة المكروهة ﴾

لا اكره المرأة الباغية تدفعها يد الفقر الى البغاء ولا اللوم الفتاة الساقطة تطرحها عوامل الاحتياج في مطارح الفحشاء ولا احتقر الغريبة الفازحة تلجئها كف الضرورة الى بيع العفة والحياء ولا استهين باليتيمة الجائعة تبذل نفسها دون السؤال والاستعطاء ولا انفر من

المرضع اذا ارتكبت منكرًا لاطعام اطفالها ولا ابغض الوحوة المنقطعة اذا اخسرها الدهر سندها فتاجرت بجمالها ولا افند بنات الهوى يتخطفن الفتيان من قوارع الطرقات ولا اذم بغايا الاسواق يجهرن بما يأتينه من المنكرات فانما هن مخلوقات انزلها الشقاء في منازل الذلة والهوان فلم تخفِ ما رمتها به يد الاقدار ولم تنكر ما أصابتها به طوارق الحدثان بل هي قد استوفت من ذلها وانحطاطها بعض العقاب عن اعمالها ونالت من قبح سمعتها جزاء واجبًا عما بدلنه من محاسن جمالها ولا تلم المرأة الساقطة في مهاوي عارها واذلالها انك لاتدري تحت اي حمل سقطت من احمال الدنيا واثقالها

بل انا اكره المرأة الغنية ترفل في حلل الدمقس والديباج وتسمع بالفقر والاحتياج ساعةً ولم يذقها الدهر طعم الاحتياج وهي ترى نفسها في القصور الشاهقة تمقد في العلى سببًا وترى ثيابها سراجًا وهاجًا بما حلاها الغنى ذهبًا وتجد زوجها يوالي عليها اصناف الهدايا وانواع النعم وقد حفها من كرمه ووداده بجيش حافل من الوصائف والخدم . فهي لا تنقل قدمًا الاَّ في المركبات الفاخرة تجرها الخيل الجياد ولا تنطق بكلمة من اوامرها الاَّ انحنت لافواهها المناكب والاجياد ولا تلقي رأسها الا على وساد يتمنى كل فؤاد ان يكون ذلك الوساد . وقد اغفتها الايام فما تجد فيها الاَّ الغبطة والهناء وتجلت لها الارض جنة الخلد حتى لو خيرت بينها لاختارت الارض على السماء واكره هذه المرأة حين تزاحم البغي في خيانتها وبغائها وتجاري بنات الهوى في خلع الحياء وهي منستر وراء مجدها وعلائها وتأتي منكرات الاعمال وهي غير

محتاجة الى اتيانها وتبذل حسنها عفواً مجاناً لقوم يحتاجون احياناً الى احسانها تلك التي تسير في مركبتها وابصارها تنهب الوجوه انتهاباً او تطل من شرفة قصرها وعينها تنتخب الفتيان انتخاباً والتي تواعد خليلها جانب البستان او في اقصى المدينة مكاناً قصياً وتخون زوجها شر الخيانة وهو لم يذنب اليها ولم يأت شيئاً فريا تلك التي اكرهها ويجب ان تكرهها القلوب والاحداق لانه اذا كانت بغايا الاسواق شر النساء فتلك شرٌّ من بغايا الاسواق

المرأة والمرآة

جعل الله حلية الرجل عقلهُ وكمالهُ وحسن حديثهِ وادب محاضرتهِ ومكارم اخلاقهِ وجعل حلية المرأة جمال وجهها واعتدال قوامها وفتور عينيها وحسن ابتسامها ورقة لطفها ودلالها . فاتخذ الرجل المرأة مرآة لهُ يرى فيها نفسهُ ويستشف منها ما خفي عنهُ من اخلاقهِ وآدابهِ وحسن وقعهِ في النفس ومالهُ من التأثير على القلوب منها فهو يجلس في مجلس الحسناء يحادثها ويتقرب اليها وينظر من خلال وجهها وبريق عينيها وتلون محياها كيف يكون تأثيرهُ عليها وهل هي مقبلة عليهِ او نافرة منهُ وهل هو مقبول في مجلسها او بغيض اليها فيعرف من ذلك ما هو وقعهُ في النفس وما هي منزلتهُ عند ربات الجمال وما هي صورتهُ الحقيقية وما هو رسم اخلاقهِ او رسم جمالهِ في قلوب النساء فيزيد ما يراه حسناً مقبولاً ويصلح ما يشعر بهِ في نفسهِ من العيب والنقصان

واتخذت المرأة وجه مرآتها كفيلاً لها باظهار ما خفي عنها من جمالها الذي تعتمد عليه ومحاسنها التي هي حليتها وكمالها في كل مقام تكون فيه

فكانت المرآة امين اسرارها ومرشد سيرها وهدى أبصارها وبشير زينتها والناصح المخلص لها في اصلاح ما نقص من محاسنها والدليل الهادي امامها الى بلوغ ما تتوخاه من كمال بهائها وحسن محياها فهي تكشف المرآة ما لا تكشفهُ لاحد في الدنيا من أسرار جمالها او نقائص تكوينها وتستشيرها في الذي لا يمكن ان تستشير به احداً سواها من لوازم حسنها ومتممات فتنتها وابداعها . ولقد يعجب الناظر منها بل لقد تعجب هي من نفسها لو تيسر لها مرآة ثانية تكشف لها ذلك الموقف الغريب حين تقف لدى مرآتها ساعات وهي جامدة الحركة مبهوتة الطرف تتأمل في وجهها وملامحها تأملاً طويلاً ينتهي بها احياناً الى حد الدهشة والذهول حتى تنسى موقفها وتصبح من شدة انشغالها بنفسها وهي لا تكاد تشعر بذلك الاشتغال ثم تنتبه الى نفسها وتدير الحاظها في دقائق محاسنها وتنتقد ما يبدو لها من ملامح وجهها ثم تنقل طرفها في تقاطيع محياها وتنظر الى كل شيء وحده من تفاصيل طلعتها ثم تجمع ذلك النظر على كل وجهها ثم تنتقده باجمالهِ بعد ان انتقدتهُ بتفاصيلهِ واجزائهِ . ثم تدير نظرها في كل جسمها لترى هل ينطبق ذلك المجموع على تلك التفاصيل وهل تكون محاسن ذلك الاجمال موافقة لجمال تلك الاجزاء ثم لا يكفيها ما يبدو لها من هيئة قوامها وهي واقفة امام المرآة حتى تريد ان تعلم ما يكون تأثير حركاتها واختلاف مناظرها على العيون والقلوب

فتخطر لدى مرآتها خطوات لترى كيف مشيتها وكيف اهتزاز قوامها وهل فيها عيب فتصلحهُ او حسن فتبقي عليهِ . ثم تعرض بوجهها قليلاً وتنظر الى خيالها شزرًا لترى هل تحلو نظرتها على تلك الصفة وهل يبقى وجهها جميلاً بذلك الاعراض . ثم تبسم قليلاً لترى كيف هيئة ابتسامها وانتظام ثغرها وهل تكون جميلة لو ابتسمت كذلك ام ينبغي ان تزيد في الابتسام . ثم تضحك بعد ذلك بل فمها لتعلم كيف تكون ملامحها عند الضحك وهل يكبر فمها فيكون قبيحًا ام يزيدها الضحك لطفًا وجمالاً وبالتالي هل ينبغي ان تستره بيدها اذا اضطرت الى الضحك في مجلس ام ينبغي ان تضحك كثيرًا لافل حديث لكي تزيد في محاسن وجهها حسنًا جديدًا ثم تنتقل الى تجريب عينيها وامتحان نظراتها كما يمتحن الرامي سهام كنانتهِ وكما يجرب البطل مضارب سيفهِ وهناك الامتحان الطويل والبحث الدقيق ومجلي اسرار المحاسن ومظهر مكنونات الملاحة والجمال . فتنظر في مرآتها اولا نظرًا بسيطًا بلا كلفة ولا تعمد ثم تغزل بعينيها بعد ذلك كأنها تغازل احدًا لديها لتعلم هل يخطيء ذلك الغزل ام يصيب . ثم تكسر اجفانها لترى تأثير ذلك الانكسار ثم تفتح مقلتيها وتجعل هيئة الضحك في عينيها لتنظر ما يكون لها من حسن الوقع في النفوس وشدة الفتك في القلوب ثم تقطب حاجبيها وتنظر في خيالها نظرة الكره والغضب ثم تنظر بعد ذلك نظرة المودة والرضى لترى كيف يكون تأثير النظرتين وتكون عالمة بهيئة وجهها فيهما اذا لم تكن لديها مرآة . ثم ترفع عينيها الى السماء ثم تخفضهما الى الارض ثم تديرهما من الجانبين لترى كيف تكون طلعتها في كل تلك الحالات . ثم تنظر اخيرًا في ثوبها فتصلح ثناياه وفي

عليها فتسوي مواضعها وتعدل انحرافها وفي مروحتها فترى كيف تترقع بها وكيف تليحها في يدها وفي حذائها فترى كيف يكون بروزه من تحت اثوابها وفي شعرها فترى كيف اجتماعه على رأسها او كيف تهدله على كتفيها ثم في قوامها كله فترى كيف تناسبه واعتداله

تلك هي المرأة لدى مرآتها يحسبها الناظر اليها مجنونة وما بها مس ولا لمم وانما هي تتبع سنة الله التي خلقها عليها ومن يتبع سنة الله فما ظلم ولكن ما ضرها او تبعت تلك السنة الى آخرها فيهمت الى جمال محاسنها جهل حسناتها ورأت جمال نفسها في اسعاف المسكين كما ترى جمال وجهها في صحيفة مرآتها فان دعاء الفقير الجائع مرآة ترى فيها الحسناء صورة مكارمها وسجاياها كما ان صحيفة الزجاج مرآة تنظر بها اعتدال قوامها وجمال محياها خلا ان هذه قد تعدو عليها يد الدهر فتكسرها او تكسر تلك المحاسن الزهراء ودعاء الفقير مرآة لا تكسرها الايام بل يرى المرء فيها نفسه في الارض ثم يراها في السماء .

شهيدة الرقص

« هي قصيدة لفيكتور هيكو نظمها في فتاة حسناء ماتت على اثر الرقص فاثرنا تعريبها فكاهة للقراء باقوال هذا الشاعر العصري لما آنسنا فيهم من الميل الى تعريب أقواله وفائدة لكثيرات من فتياتنا اللواتي الفن فن الرقص الافرنجي في هذه الايام قال »

كم قد رأيت فتاة حسناء تموت في شرخ صباها وكم قد رأيت قدم

الاقمار تدوس زهرات تلك المحاسن والجمال كما يدوس الراقص على ما يتناثر حوله من الرياحين والورود . تلك سنة الله في خلقه ينضب الماء بكثرة جريه ويختفي البرق بعد وميضه وتسقط الزهرة بعد ذبولها ويقبل الليل بعد نهاره والدنيا وليمة حافلة يجلس حولها الناس أفواجاً واكثرهم يقوم وينصرف قبل انتهاء طعامه

كم قد رأيت فتيات يقضين في زهرة العمر وابان الصبابة والصباء بيضاء ناصعة الجبين تزين خديها حمرة الورد وبهاء الشباب وسمراء ناحلة القوام شاخصة ابصارها الى السماء كانها تناجي القوم وتسمع نشيد الملائكة ورقيقة صفراء يزيدها الذبول جمالاً فتحسبها الخيال الساري من رقتها وانتحالها وقد خف جسمها الذابل عن حمل الحياة فسقط تحت اثقالها صريعاً كالغصن الدقيق يقع عليه الطير فلا يقوى على حمله فينكسر تحت رجليه ومريضة ناحلة تبسم للموت وهي لا تدري كما يبسم الطفل في قرار مهده ثم تذهب حياتها في غشية مستطيلة كما يتلاشى النغم على وتر العود عند انقطاع اهتزازه زهرات صبابة وجمال لا يكاد يفتحها نسيم الصبا حتى تقطفها انامل الايام وحمائم حسن بيضاء لا تكاد تنهض من اعشاشها حتى تصيبها سهام الاقدار . وانوار ملاحة وذكاء لا تنيرها شعلة الشباب حتى تطفئها نسمة الموت من فمه الاصفر القتال فتصبح تحت الثرى رفاتاً هامداً بعد ان كانت زينة محافل ومجالس وتضمها احجار العود والمقابر بعد ان كانت زهرة حسن تضمها الصدور وتحنو عليها العيون والافواه

واني اذكر منهن واحدة كأنها ملك كريم بجمال محياها وطهارة قلبها وسواد عينيها وبهجة محاسنها ولطف قوامها تكللها وردة الشباب

الزاهرة ولا تتجاوز سنو عمرها ايام البدر عند اكتماله فصفتها يد المنية في ذلك الشباب الناضر فلم يكن موتها من الحب لانها لم تكن تعرف بعد ما شقاء الغرام ولا خفق فؤادها تحت عوامل الصبابة والوجد بل لم تكن تسمع الا قول الناس « ما اجملها » ولم يكن احد بعد قد قال لها ذلك همساً ولكنها كانت تحب الرقص كثيراً وهو الذي قتلها وبها تطفأ مصباح ذلك الجمال بل كانت تحب الرقص حتى لو مرت البوم سحابة على قبرها وهي ترقص حول القمر في سمائه الصافية لرقصت لها عظامها في ذلك القبر . فكانت اذا اقبلت على حفلة عيد تفكر قبلها بثلاثة ايام كيف تصنع فيها وتحلم بها ثلاث ليال تباعاً كيف يكون انتظامها فلا ترى في نومها سوى الراقصين والراقصات كأن كل اثنين منهم اعصار مستقل يدور على نفسه وكأنهم في اختلاط قاماتهم اغصان بان تصفقها الرياح وبما يلمع على صدور حسانهم من بريق الجواهر نجوم سارية تتنقل في البروج حتى اذا جاءت ليلة الرقص وخفل المكان بالراقصين بين محاسن الزينة والانوار اقبلت تلك الشهيدة الحسناء بين اترابها كأنها البدر بين نجومه ودخلت في غمار الراقصين يلاعب الهواء ثيابها الشفافة كما يلعب النسيم بجناح الفراشة الحائمة وقد هاجت عواطفها رائحة الزهر والعطر وحركت فؤادها نغمات العازفين واثارت دماء صباها حركات الرقص ودوران الراقصين فلم تعد تبصر ما اديها شيئاً ولم تعد تعلم هل ترقص على الارض ام هي طائرة في السماء

ولما انشق جفن الليل عن مقلة الفجر وسكن عزف الموسيقى ووقفت حركات الراقصين وخرجت تلك الصبية الحسناء يلتهب خدها التهاباً ويندى جبينها عرقاً كأنه لؤلؤ مرصوف على صفحة هلال قابلتها نسمة

الصباح الباردة ومسح صدرها النادي كف الهواء الرطب فأمسك خيط تلك الحياة الزاهية واخذ يسلهُ من ذلك الجسم النضير فلم تصل الفتاة الى منزلها حتى تناوبها السعال الشديد ثم تلتهُ الحمى القتالة المحرقة تذيب ذلك الجسد النقي كما يذوب الثلج على النار ثم اخذ الموت وديعتهُ الثمينة وقطفت يد المنية تلك الوردة الحمراء فراحت في عنفوان صباها ومقتبل شبابها وبهاها شهوة الرقص المضر وقتيلة ذلك اللهو الشديد . بنت اربع وعشر كسفها ظلام الموت كما يكسف البدر عند تمامهِ وكسرتها كف المنون كما يكسر اناء الشرب عند امتلائهِ وجمامهِ وتركت اماً واهلاً يبكون على فقدها بدموع حرى وختمت حفلة ذلك الرقص بمأتم شديد كان لامثالها من الفتيات الراقصات تبصرة وذكرى

المرأة والرجل

خلقها ذكراً وانثى . واوحى باقترانهما ما اوحى . وجعل الحب عروته الوثقى . فجعل الفؤاد له ما وى . يسعد بهِ ويشقى . ويموت بهِ ويحيى . واقام اللحظ آيتهُ الكبرى . يرسل الى القلب الهوى . فيأمر فيهِ وينهى . فاثار العاطفة القصوى . عاطفة الوجد الاولى . فنبه النفس من الكرى . فآنست من الجمال ناراً تذكى . فوجدت على النار هدى . فعلمت سرّ الجمال واخفى . فهامت غراماً الى اللقيا . وسعت لها سعيها الاوفى . فكان القران غاية المسعى

تولد البنت فيبسم لها ثغر الحب قبل ان يبسم ثغرها لوجه الحياة ويخفق لميلادها قلب الصبابة قبل ان يخفق فؤادها بانفاس النسيم

ويرفّ من حولها جناح الهوى قبل ان يكتنفها جناح الهواء وتستبشر بها سعادة الغرام قبل ان يعبس لها وجه الوالدين ويقول الحب هذه غرض لسهام الغرام قبل ان تقول الدنيا تلك غرض لسهام الايام . ثم تنشأ في بيت ابيها ناضرة عطرة تنتظر ناشئها وزهرة جمال مرصودة لقاطفها وثمرة غضة وضاءة ترجو قدوم جانيها حتى اذا اكتمل جمالها واستتم هلالها ودانت قطوفها اعرض ذلك الجاني عنها وفاتها ذلك الفتى الذي خلقت له وخلق لها وانصرف يجري وراء سواها من بنات الليالي وفتيات الحانات وهو يدوس جمال تلك الحسناء بتغاضيه واهماله كما يدوس الصائد زهرات الربى الزاهية وراء طير يطارده وقد لا يصيده واذا صاده فقلّ ان يكون فيه نفع او غناء .

يفعل الفتى كل ذلك ويجري في ميادين الصبابة واللهو مخلوع العذار مطلق العنان وتبقى الفتاة في خدرها وحظها في النهار النظر وفي الليل الفكر وهي تشعر بالحب يضيق به صدرها ولا ينطلق لسانها ويظهر الغرام من عينيها ولا تقدران تبديه بفمها وتدعو الفتيان بجمالها ولا تجسر ان تدعوهم بقولها وترى انها اما ان تكون لواحد وهذا الواحد لا يلتفت اليها واما ان تكون للجميع كغيرها وهو ما لا يسمح به حياؤها وعفافها فتبقى كالوردة الناضرة يظهرها الجمال ويخفيها الخجل وتقيم في مكانها كالحمامة الحائمة تدفعها غلة الظمأ فتردها رهبة الوجل

تلك هي الفتاة التي خلقت للزواج وابدعها الخالق زينة المنزل واكمل بها خلقة الانسان فقد اتمت واجبها من انتظار الفتى الذي خلق لها ووفت لها الطبيعة عهدها في تمام تزيينها وكمال محاسنها عند

بلوغ الرشاد وزادت هي حلية جمالها بما اضافت اليه من حسن التهذيب وآداب النفس واصبحت جوهرة كاملة يليق ان تنتظم في عقد الاجتماع وحلية ثمينة يجب ان يتمم بها الرجل ما ينقصه من زينة الدنيا وسعادة الحياة . فهل وفى الرجل ما خلق لاجله من الاقتران بها واين العهد الذي اخذته عليه الطبيعة عند ميلاده كما اخذته عليها واي عذر له في ان يترك تلك السعادة الدائمة ولذة ذلك الحب النقي المستمر ليجري وراء امنية زائلة تعود عليه بالامراض والشقاء ويتعلق بكل فتانة خادعة تقوده معها الى مهاوي العار وحضيض الذلة والهوان ثم لا تلبث ان تعقبه من فاسد قربها هجرًا طويلاً وتبيعه كاسد جمالها وزائف حبها فيشتري بعفته وآداب نفسه ثمنًا قليلاً

واذا كان الدهر قد حكم للفتى بقوة مطلقة وعيشة مستقلة وسيادة كاملة ساد بها على الدنيا وحكم نفسه بنفسه وانفرد عن مشورة سواه وكانت الاقدار قد حكمت على الفتاة بعكس ذلك من التقيد باهلها والتعلق باحكام والديها وذويها والاحتباس في خدر من العفة والخجل هو اشد الخدور صيانة واوثق السجون توصيدًا فهل ينبغي للرجل ان يستعمل تلك السلطة المطلقة في ظلم هذه الخلقة الضعيفة المقيدة وهل يليق في عرف الانسانية التي وضعت شرائعها لحماية الضعيف من القوي ووقاية المظلوم من كف الظالم ان تسمح بهذا الظلم الذي حكمت به الطبيعة كما حكمت بسواه فمنع الانسان كل ظلم طبيعي سواه ولم يرد ان يتلافاه . انه لا يكفي الفتاة ان تنظر اليها بثغر باسم وقلبك مبتعد عنها وهو في قبضة سواها . وانك لا تتلافى مظالمتها واساءة الدهر اليها بأن تقابلها بالاجلال وتغريها بلين الكلام وترنو اليها بعين الحب وانت

تصرف الحب الصحيح الى غيرها ممن لا تستحقه من بنات الهوى وفتيات الازقة والحانات وتلقي الكلام الذي يخرج جوهر غرام من صميم فؤادك على اقدام نساء بغايا يدسن عليه بعد انصرافك كما يدسن على جوهر فؤادك في حضورك . بل انت بذلك تغري فتاة المنزل الحسناء فتحملها من نقضك واخلاف وعودك ظلماً جديداً فوق ما ظلمتها به الايام . وتغري الفتاة الساقطة بابتذال مالك وغرامك فتزيدها طغياناً وضلالاً في سبيل التهتك والابتذال يعود على غيرك من فتيان الجهالة باضعاف ما عاد عليك من المذلة والخسران

ثم ياليت هذا الرجل التائه في غلوائه يستمر على هذا الطريق الى آخره ويبقى على هذه العيشة الفاسدة الى ختام حياته فانه بذلك لا يضرّ الاّ نفساً واحدة هي نفسه ولا يجني على احد سواه . ولكنه متى لعبت في رأسه طلائع الشيب وعبثت به يد العجز والكبر وتحرّمت جسمه البالي امراض النساء وعاهات الغواية والفحشاء اقبل يلتمس من مصونات المنازل وفتيات الطهارة والآداب ضحية بريئة طاهرة يقدمها على مذبح امراضه ويشركها في مالم تجنِ به شيئاً من غوائل علاته وادوائه ويجعل نصيبها من عواقب مرضه وعاهاته وهي المصونة في خدرها والحابسة النفس عن اميالها واهوائها نصيب التي صرفت ايام صباها على التهتك والفحشاء وارخت لنفسها عنان الشهوات في ميادين الخلاعة والبذاء . ثم يجني من بعد ذلك على اولاده تلك الجناية القتالة التي يشركون بها اباهم في شقائه وهم لم يشركوه من قبلها في شيء من ملذاته ونعمائه وهي حالة لو تأملها القلب القاسي لاصبح رقيق الشعور والاحساس فكيف لا يتأملها اصحابها اللطفاء وهم يدعون رقة الصبابة ولطف المدامة

والكاس ان في ذلك لعبرة لكل ذوق سليم وتنبيهًا لكل فؤاد حساس

فتيان اليوم

ليست المرأة لدى مرآتها ولا الطفلة مع لعبتها ولا الفقير في ثوبه الجديد ولا الدنيء في نعمته الحديثة ولا الخليل في تقطيعه أبيات العروض ولا ارخميدس عند اكتشافه الثقل النوعي ولا الحريري عند نظم مقاماته بأغرب هيئة واضحك حركات من شبان هذه الايام لدى امرأة يقابلونها في الطريق او يجلسون ازاءها في نادٍ عام او تجمعهم لديها مركبة كهربائية او سكة حديد. ومن شاء ان يضحك على خفة الشبان ويعرف مقادير العقول ويزن اثقال الافهام ويعرف حقائق النفوس الصغيرة اذا داخلها التمدن الجديد دفعة واحدة فاذهلها واعماها عن واجبات الرجولية وحقوق الشيبة والفتاء فليتأمل في فتيان عصرنا قليلاً ويتبع حركاتهم يومًا وينتبه الى مجالسهم واحاديثهم في محفل جامع او مركبة عمومية فهناك يرى من غرائب الحركات ما يبعث الضحك والاسف ويظهر له من خفة العقول في الفتيان ما يشتهي لاجله الشيب والخرف

ذلك ان الفتى من فتيان عصرنا ينهض من فراشه ولا نهضة الحسناء من خدرها ويقف لدى مرآته ولا وقفة بنت الهوى امام عاشقها فلا يزال ينظم من ثيابه ويسوي من مفارق شعره وغرة جبينه وربطة قميصه وتدهين ملابسه وتفتيل شاربيه ما لو صرف بعضهُ على الصلاة لدخل الجنة بثيابه او انفق شيئًا منهُ على العلم لبهر الدنيا بمعارفه وآدابه حتى اذا

تجلت له محاسن وجهها وتنبع من صدق مرآته بتمام بهائه وجماله وزينت له عيناه انه لم يخلق الله مثلها بين اترابها خرج يتخطر في الشوارع وهو يرنو الى النساء فيحسب انه يوسف الصديق يقطعن عليه الايدي والاكباد وهو لو نظر الى نفسه وتأمله نظرة العقل لاطرق بنفسه خجلاً ولشتم نفسه اوكاد . فاذا مرّت به مركبة كهربائية قد حفلت بركابها وقف ينظر الى من فيها من الناس ويستعرض من على مقاعدها من الحسان حتى اذا راقت احداهنّ في عينيه — وما اسرع ما يروق الحسن في تلك الاعين — وثب الى المركبة مسرعاً واتخذ الى جانبها مكاناً فجعل يخالسها اللحظ استراقاً واستلاباً او جلس بازائها تماماً واخذ يحدق بها تحديق من يريد ان ينتهب الحسن انتهاباً وكأنه يستلفت انظارها الى باهي جماله ويظهرها من نظرات عينيه ما خفي عنها من هيبته وجلاله وهو لو فطن لعلم انه بدلها على خفة شبابه وانه بدي لها من خفايا نفسه ما كانت تجهله من محاسن آدابه وانه اذا ستر حالة زخرفة الشباب فان عقله لا يختفي تحت ثيابه

روى لنا بعض الادباء قال ركبت الكهربائية مرة وكان المقعد الذي انا عليه والذي امامي خاليين من الناس وامامنا الدرجة الاولى وفيها جماعة من شبان هذا العصر يلتفتون الى المركبة وراءهم حيناً بعد حين كما يتعاهد الصياد شبكته ليأخذ ما فيها قبل انفلاته واذا بفتاة أقبلت ركضاً تستوقف السائق وهي كالحمامة الهائمة لا تدري على اي غصن تقع فجاء وقوفها لدى ذلك المقعد فصعدت وجلست الى جانبي . وما ادري كأني اغتبطت بعد فقر او ارتفعت بعد ضعة او ورثت أباً غنياً او صرت وزيراً بعد عزل فلم اشعر الاّ وقد نهض احد اولئك

الشبان واقبل مسرعًا فجلس الى جانبي ثم تبعهُ الآخر على عجل فقعد الى جانبهِ وقال ألا يحق لي ان اقعد معك ثم تلاهما الثالث فقال وانا أليس لي نصيب معكم ثم انهال على اثرهم الباقون يتخطون المقاعد ويدورون حول الاعمدة والحواجز وكل منهم يأخذ الى جانبنا مكانًا حتى ضاقت المجالس بنا وكادت تلك الفتاة تذوب حياء من وقع تلك النظرات عليها . ولم يكد يستقر بهم المقام حتى اخذوا يتحدثون بتلك اللغة الفرنساوية الفصحى التي شاعت بين ابناء مدارسنا اليوم فتخرج من افواههم اللطيفة وهي تلعن بعضها بعضًا . ثم التفت كل منهم الى نفسهِ فجعل الواحد يسوي ربطة عنقهِ والآخر يضم ازرار ثوبهِ والثالث ينظر الى لطافة امساك العصا بين انامله والرابع يدير خاتمهُ في خنصرهِ ليظهر منهُ بريق حجرهِ والخامس يعدل نظارتهُ بين عينيهِ وقد قرصت على انفهِ حتى برز الجلد من بينها ثم عادوا ينظرون الى الفتاة تلك النظرات الواقحة الفاسقة حتى خلت ان المسكينة فريسة سقطت بين ذئاب كاسرة لا فتاة جلست في مركبة جامعة بين فتيان ادباء من ابناء هذا العصر المدني الجديد

ولم يكد يمتد بنا الطريق حتى التفتت اليَّ وقد رأتني الغريب الوحيد بينهم وشعرت انني لا التفت اليها مثل التفاتهم وقالت لي ارجو منك ان تأمر السائق بالوقوف ولم تصدق ان وقفت لها المركبة حتى خرجت من بينهم هاربة كمن يهرب من خيال مخيف واخذت تسرع في الطريق وحدها ماشية على قدميها وقد فضلت المسير على تلك الصحبة الادبية الشائقة فعلمت ان الفتاة لم تصل بعد الى منزلها وان رقة اولئك الشبان قد جعلتها تفضل ثقل المشي على تلك اللطافة

والآداب . فقلت من لي بمصوّر ماهر ينقش تلك الصور الجميلة بحركاتها وهيئاتها المضحكة لهوًا وعبرة للناظرين . بل من لي بمولّد الرّوائي المضحك ينظم فيهم رواية من رواياته الهزلية البديعة فيضحك منها خادمة الذي لم يكن يضحك الاّ نادرًا وكان يجرّب رواياته المضحكة فيه بتلاوتها قبل تمثيلها عليه . بل من لي بصاحب قرد يوقف قرده امام تلك الهيئات ساعة ليتقن تقليدها ثم يأخذه فيضحك به الناس

مهلاً فتياننا الادباء النافحون روائح وعطورًا المقلدين النساء زينة وزخرفة وزهورًا والخاطرين نقطًا سوداء في سماء المدنية وهم يحسبون أنفسهم بدورًا والمتقربين الى الفادات بمثل هذه السفاسف الدنيا فما يزددن الا نفورًا ما هكذا تستمال الفادة الحسناء ولا من هذا السبيل يتوصل الفتى الى أفئدة النساء وان الفتى خلق ليزينه الادب لا ليزينه الذهب ووجد ليحليه الكمال لا ليحليه الدلال وابدعه الله ليكون رجلاً بين النساء لا امرأة بين الرجال وان المرأة لا تحب من الرجل جماله اذا كان ناقص العقل ولا تنفر من نقص محاسنه اذا كان كامل الفضل وان جمال العقل هو الجمال الاعلى وجميع محاسن الوجه دونه وسبحان من جعل الجسم تمثالاً عاطلاً وجعل العقل له زينة

القلب الكسير

من أشد الجرائم التي يرتكبها المرء ولا يعاقب عليها ولا شريعة تقضي للمظلوم فيها جريمة من يغري فتاة من بنات المنازل أو فتيات

الهوى حتى اذا تملكها حبهُ وعلقت عليهِ آمال صبوتها وغرامها ووجدت فيهِ راحة النفس الحية التي فطرت المرأة عليها وخلقت لها هجرها من غير ذنب وفارقها فراق الغاضب الكاره الذي لايعود اليها وتركها من بعده في غصص امر من غصص الموت لانها غصة الحياة ومرارة العيش التي لاتنقضي الا بانقضاء تلك الحياة

نذكر من ذلك ما رواه لنا بعض الادباء في الاسكندرية قال: بينا أنا في اعظم شوارع البلد واكثرها ازدحاماً بالناس رأيت امرأة مقبلة من بعد وفي يديها منديل تستر به وجهها حيناً وربما تمسح دموعها ثم ترفع رأسها لترى الطريق الذي تسير فيهِ بين جماهير الناس المزدحمة كأنها لاتبالي بكل من حولها من افواج المارة ولا بما يلقى عليها من نظرات الاستنكار والاستغراب. قال المخبر فعجبت من حال تلك المرأة وشدة بكائها في قارعة طريق كبير كأنها في منزلها غير مبالية بمن حولها من الناس وقلت لعلها ثاكلة ولدها او فاقدة بعلها او اخاها حتى اذا دنت مني تبينتها فاذا هي احدى بنات الحانات من الافرنج وكنت اعرفها لعلاقة كانت بينها وبين أحد اصدقائي ثم تركها من زمن غير بعيد. فلما رأتني أقبلت اليَّ نائحة نادبة تريد ان تخفف مصابها بمحادثتي وشكوى همومها لي فسألتها عن امرها ومن أي شيء تبكي وعلى أي عزيز تنوح فقالت انما أبكي على فؤادي الذي فقد مني فتعال معي الى ناحية لابثك دخيلة أمري فقد ضاق صدري من كثرة ما فيهِ من الهموم والاشجان واشعران قلبي قد تكسر فلم يعد لهُ جابر سوى الموت. فسرت معها الى قهوة في جانب البحر حتى اذا خلونا في احدى نواحيها

أخذت في البكاء الشديد كأنها اغتنمت خلو المكان فارخت لنفسها عنان الحزن والنوح فتركتها ريثما أطفأ دمعها بعض ما في قلبها من حرارة الوجد ثم سألتها عن امرها فقالت قد هجرني فجأةً اول امس من غير ان ادري لهجرانه سببًا ثم علمت اليوم انهُ تزوج الليلة البارحة فشعرت ان وتر الحياة قد انقطع من فؤادي وان ما بقي لي من ماء الحياء قد نضب من جبيني فخرجت من المنزل هائمةً ابكي وانتحب كما رأيتني ولعلي كنت اذهب فالقي نفسي في البحر لولم يقدر لي ان اراك واشك شيئًا يسيرًا من دخائل صدري

فعجبت من امر تلك الفتاة جدًا وكنت اعهد ان صديقي اذا فارقها فانها لا تحزن لفراقهِ كل هذا الحزن وكان في اعتقادي ان مثل هؤلاء الفتيات لا يحببن الاَّ نادرًا ولا يكون حبهن في الغالب الاَّ فكاهةً ولهوًا او بابًا لابتزاز اموال الاغرار من الفتيان وانهُ اذا داخل قلوبهن فانما يدخلها من باب الزحام الذي لا يدوم فيهِ لكثرة ما يمر على فؤاد صاحبتهِ من خيالات الصور وما يطرق اذنيها من انواع الاحاديث واختلاف العبارات فقلت لها انني اعجب منكِ كيف تحزنين هذا الحزن على فتى خدعك وتركك وانت قد نصبت نفسك لهذه المهنة ووطنت فؤادك على مثل هذه الخدع والصدمات باتخاذ هذه الحرفة التي تمارسينها بل قد كان ينبغي لك ان لا تنتظري الاَّ مثل ذلك منهُ لانك قد أسأت الى كثيرين غيرهِ مثل ما أساء اليك الآن وخدعت شبانًا عديدين قبلهُ كما خدعك هو اليوم فلا تجزعي من سنة انت سننتها لنفسك وكنت البادئة فيها قبل سواك واصبري على بلواك منهُ

كما صبر سواك على بلواه منك

قالت ان ما تقولهُ حقيقة لا ريب فيها ولما اشعر ان الله قد عاقبني بعدل واستحقاق ولكن اذا كان هذا العقاب عادلاً فهل ينبغي ان لا اشعر بهِ ولا أتألم لهُ بمقدار وقوعهِ عليَّ وهل تحسب ان المجرم الذي يقتلونهُ عن عدل لا يتألم من مقتلهِ كما يتألم البريء تماماً ام هل تظن ان وهم العدل الذي يقتلونهُ بهِ يخفف من موتهِ اقل عذاب بل الا تعلم ان فتاة الخدر التي يخونها خطيبها وينصرف عنها الى سواها اقل عذاباً وألماً منا نحن بنات الهوى وفتيات الحانات . قلت قد يمكن ذلك ولكنني لم اعرف السبب فيهِ . قالت ان السبب الذي من اجلهِ يكون مصاب البغي اشد جداً من مصاب المخطوبة ان الخطيبة فتاة مصونة في منزلها تصون فؤادها كثيراً وتحبس اميال نفسها عن الاندفاع في مجرى الغرام الى آخر حدوده ولا تعطي لخطيبها الا ما تسمح لها بهِ آداب العشرة وعفة المجالسة وصيانة الحديث وبذلك تكون قد ابقت لنفسها قطعة كبيرة من فؤادها ولم تعط خطيبها في عشرتها لهُ الا الشيء القليل الذي يكون في الغالب قشرة ذلك الفؤاد لا صميمهُ ولبابهُ . اما الفتاة منا فانها اذا عشقت فتى اعطتهُ كل شيء من فؤادها وجسمها وما لها وارقائها وساعات فراغها واشتغالها ووقفت عليهِ حياتها وعقدت بهِ عرى سعادتها وارتياحها ورأته الزخر الوحيد الذي قدرت ان تحصل عليهِ من كل من يدور حانتها من الفتيان والرجل الفرد الذي قدرت ان تحبهُ وان يملك غرامها من بين هاتيك الجموع والافواج بل هو لم يصل الى فؤادها الاَّ بعد جهاد عظيم ونزع شديد

بينهُ وبين ما يحدق بهِ من ذلك الزحام فاذا تركها فجأة بلا سبب ولا خصام شعرت ان ذلك المكان المملوء من قلبها قد فرغ دفعة واحدة فدخلتهُ التعاسة واليأس دفعة واحدة كذلك كما يعود الهواء الى محل فراغهِ . وان تلك السعادة التي كانت تعزيها الوحيدة في مصاب حياتها الساقطة قد زايلتها في طرفة عين بلا مقدمة لها ولا تمهيد وان يد الهجر قد ضربت فؤادها ضربة شديدة على غرة منهُ فانكسر تحت تلك الضربة القتالة كما تكسر الزجاجة فلا يكون لها انجبار ولا يُرجى لها التحام فاصبحت كالحمامة الطائرة يصيبها سهم الصائد تحت جناحها فتتحامل بنفسها الى عشها فتجثم فيهِ مجروحة متألمة وهي ترى السهم في جنبها ولا تقدر على انتزاعهِ حتى تموت منهُ ولا يرثي لمصابها احد . وانت تعلم ان صناعتنا صعبة شاقة لا يقدر عليها الاَّ القلب الصبور والصدر الواسع اذ هي صناعة التملق والمداهنة والخداع واظهار الحب الذي لا نشعر منهُ بذرة بل قد نشعر بعكسهِ نحو الذي نبديه لهُ فضلاً عن تكلف الضحك والابتسام احيانًا وقد نكون في اشد حالات الحزن والشقاء . والصبر على ما نسمعهُ من فظاظة الفتيان وما نقاسيهِ اجسامنا الرطبة من العاب ايديهن القاسية في بعض حالات السكر والعربدة والجلوس ساعات الى من لا نحبهُ واضطرارنا الى خدمتهِ وسماع حديثهِ ومجاوبتهِ على شكوى غرامهِ واحتمال ما يفرط من لسانهِ من عبارات الاحتقار واقوال الشتيمة والبذاء ولا سيما لدى فتيان هذه الايام الذين يحسبون المرأة قد خلقت لهم لا لنفسها وانهم يقدرون ان يشتروا قلبها وخالص غرامها بالرغم عنها وانها آلة خلقها الله لعبة لهم يديرونها كيف

يشاءون ولا ينبغي ان يكون لها نفس تدبرها احياناً كما تريد . فتصور حالة فتاة مثلي تضطر ان تسمع كل هذه الاقوال وتحتمل جميع هذه الحالات وتتكلف كل هذا التصنع والتحبب لمن لا تحبهم بل قد لا تحب ان تنظر اليهم لو كان امرها في يدها او كانت مخيرة في الذي تريد . ثم يأتيها فتي يوافق ذوقها ويدخل ابواب فؤادها وتحله في المحل الاول من شعائر نفسها ووجداناتها وتجعله التعزية الكبرى عن كل ما تلاقيه من مرارة ذلك التكلف والشقاء حتى اذا علقت به آمال حياتها ووقفت عليه سعادة وجودها وقامته النبراس الوحيد في ظلمات سقطتها واذلالها نفر عنها بلا ذنب ولا موجب وهجرها دفعة واحدة فاطفأ نور عزائها كما ينطفىء النور بهبة واحدة من نسمات الرياح وتركها في ظلمة من الحزن واليأس يزيدها ما تشعر به حولها من تلك الخيالات والصور التي لا تهواها وقد قضى عليها سوء البخت ونكد الطالع ان تصانعهم وتتحبب اليهم لكي لا تموت جوعاً وهي تكاد تموت غماً وكمداً وان تبدي لهم عبارات الود والغرام وهي في اشد الحاجة الى من يبدي لها اقوال التعزية والسلوان . وان تشرب وتضحك وهي انما تشرب كؤوس الهم مترعة في كاس المدام وانما تضحك عن فؤاد دام بما جرحت فيه سهام الغرام

ثم خنقتها العبرة فبكت بكاء طويلاً حتى اذا هدأت نفسها عادت فقالت لقد تزوج الخائن وتركني وحيدة مهجورة وهو يعلم ان لا تعزية لي سواه . فاذا كان يريد ان يتزوج فلماذا لم يقترن قبل ان يعرفني ولماذا عرف عين الحب فغوى أولاً حتى اذا عشقته ووقفت له حياتي

عاد فصرف ذلك الحب الى سواي وتركني معذبة شقية لتسعد به غيري بل لماذا لم يصرف غرامه نحوها من بادىء الامر فكان يسعدها بزفافه من غيران يشفي امرأة مثلي بذلك السعد . ام قست قلوب الفتيان الى ان لا تكرم آلهة سهال من ربات المنازل المصونات حتى تضحى في سبيلها راحة فتاة ساقطة من بنات الهوى والحانات . ام هم يحسبون ان فتاة البغاء اذا سقط جسمها فقد سقطت نفسها ايضاً في مهاوي الدناءة والفحشاء . كلا فان اجسام النساء قد تسقط حتى لا تعود اجسام نساء ولكنها لا تزال فيها نفوس نساء . وان الجسم من الارض اذا سقط فانما يعود اليها . واما النفس فمن السماء

قال المخبر ثم انصرفت تلك الفتاة وقد خف عنها من ذلك الحديث بعض ما في قلبها من لواعج الحزن والشقاء وتركت لي من كلامها عبرة مؤثرة انقلها تبصرة وذكرى الى فتياننا الادباء

﴿ الفتى والبغي ﴾

يخرج الفتى عندنا من صفوف مدرسته ومقاعد اترابه فيحسب انه بلغ قمة الكمال وادرك غاية المسعى وانه اصبح رجلاً مستقلاً تجري سفائن رغباته على بحر الحياة مرخاة الحبال مطلقة الشراع فتنفتح عينه لنور الاستقلال وينسع صدره لنسيم الحرية والمراح ثم يلتفت حوله فيرى تيار الشبيبة مندفعاً الى نوادي القمار او حانات الاقمار ويرى الفتيان من جانبيه تتهافت افواجاً الى مغازلة الحسان ومعاقرة بنت الحان

فيجري مع ذلك التيار مندفعاً بشدة تلك الامواج من جانب وبما ركب فيهِ من طبع اللهو وخفة الشبـاب من جانب حتى يتوسط ذلك البحر الواسع الذي هو بحر الملاهي والغواية فلا يجد منهُ ساحلاً يأوي اليهِ ويغيب عنهُ شاطىء الطهارة الذي ابتعد منهُ فلا يعود يقدر ان يرجع اليهِ فيصبح رجلاً ولكنهُ يستخدم الرجولية فيما يعود عليهِ بالخسران والوبال ومستقلاً ولكن استقلال السفينة التائهة بين عواصف الانواء في موج كالجبال.

ولقد يعذر الفتى بتعاطي الشراب ويعاقر كؤوس الراح انهُ يجد فيها نشوة السكر ولذة الشباب وزهو الحياة واحتقار الدنيا وهو يحبها واستصغار العالم وهو بجل ملذاته وملاهيهِ وانكشاف اسرار الطبيعة لهُ من وراء زجاج الكاس وظهور خفايا النفس ماثلة امام الشراب وانهُ يشتري بالو لذة وينفق ساعة شربهِ على ساعات لهو وسكر ويخرج من الحانة يجر الذيل تيهاً ويصعر خده عجباً وهو يعتقد انهُ ابتاع الكثير من السرور بالقليل من المال في هذه الحياة الدنيا التي لا يشترى فيها الدرهم من المسرات الاَّ بالقناطير من الاموال

ولقد يعذر الشاب مجالس حسان الحانات وبنات الشراب مجالسة ضحك ومزاح في حديث لهو وفكاهة انهُ بذلك يظهر جوهر عقلهِ ويجلو صفيحة فكرهِ ويطلق عقلة لسانهِ ويطرب من حديث جليسهِ كما يطرب جليسهُ من حديثهِ اذ ليس افتق للسان وابرز لمكنونات الصدر واجلى لعواطف الوجدان واين لمحاسن الكلام ونوادر البداهة والفكر من حديث النساء ومسامرة الفتيات في مجلس صبابة وطرب ونادي فكاهة

وحرية مجال فهناك تخرج الكلمة بنت ساعتها وتلقى العبارة والنكتة على بداهة قائلها ثم ينصرف اصحابها وقد تركوا وراءهم كل ما كان وخلص كل منهم الى منزله ولم يعلق بفؤاده شيء ما كان يلقى حوله من حبائل الشيطان

ولقد يعذر الفتى على الانفاق والتبذير انها لذة لا تعرفها الاّ نفوس الكرام ولا تشعر بنعومتها الاّ انامل السخاء . ولقد يعذر أيضاً على بعض العاب المقامرة انها سلوة النفس في اوقات فراغها وصورة الدنيا في اختلاف سعودها ونحوسها ومرسح القلب يشهد عليه الرواية الغريبة في تغيير مناظرها وانقلاب شؤونها بين الانقباض والانبساط والحزن والسرور

لقد يعذر الفتى في كل ذلك انه يسعى اليه ومعه عقله وينال المسرة فيه وهو يعلم من اي باب ينالها ويضحك على الخمر في شربها وهو يعلم انها ستضحك عليه عند سكره ويغازل فتاة الحانة مازحاً وهو يعرف انها تمزح معه في مغازلته ويخسر في المقامرة او يكسب وهو يعلم من اين يأتيه الربح او الخسران ولكن ما عذر الشاب الاديب وقد ملأ رأسه علماً وحشا صدره حكمةً وافعم فؤاده ادباً ودرساً ووقف على امور الدنيا بين دفتي كتابه ورسم حقائق العلم والعرفان على صفحات قرطاسه ثم يجلس الى المرأة المومس والفتاة البغي مجلساً نشترك فيه بنت البغاء الجاهلة مع علمه الواسع في السخرية منه والضحك عليه ويقف فيه بين يديها موقفاً مضحكاً لا يعذره عليه العقل ولا يعينه فيه الادب والعلم ونحن نصوره هنا على قدر ما يسمح به المقام تبصرة لفتياننا الادباء

وفكاهة القراء الكرام

ذلك ان يتصور القارىء حانة منفردة او ناديًا عامًا جلست في احدى جوانبهِ امرأة من نساء التهتك والبغاء وجعلت تدير عينيها فيمن حولها من الفتيان كما يدور الجزار بين كباشهِ ويتفرس من ما حولهُ من نماجهِ حتى يقع نظرها على احد اولئك الاغرار فما هو الاَّ ان يراها تديم النظر اليهِ وترى ان حبائل لحظها قد علقت في فؤاده حتى ينهض اليها مباهيًا بنفسهِ مفتخرًا باختياره دون غيره وهو لا تكاد تسعهُ الدنيا سرورًا بانتقائهِ وعزة بانتخابهِ وان جمالهُ قد راق في عينيها دون سائر رفقائهِ ثم يجلس امامها جلسة المتأدب الخاشع فتقابلهُ بنظرات المتملق الخادع ثم تدور بينهما رسل العيون وتختلف لحظات الابصار وقد اسكرهُ الغرور فصار ينظر اليها من عين قلبهِ واسكرتها خمرة الفوز عليهِ فصارت تنظر اليهِ من طرف عينها ثم يبدأ هناك التمثيل المحزن ويتخذ ذلك المسكين في تلك الرواية الدور المضحك فيذيب فؤاده غرامًا ويستنزف قريحتهُ مناداة واسترضاء ويفيض ننسهُ على قدميها حبًا صحيحًا وودًا خالصًا ويلقي جوهر قلبهِ بين يديها كلامًا صادقًا وغزلاً حقيقيًا ويستفرغ خزائن صدره لديها عبارات رقيقة وادبًا رائعًا ويتفنن في ارضائها ومغازلتها تفننًا يخرج من صميم فؤاده ويستقطر ماء ذهبهِ وهو يحسب انهُ قد ملك السعادة بقربها ودانت لهُ الجنة بدنوها وتجلت لهُ زخارف الحياة في محياها فيزداد لديها غطرًا ويذوب بين يديها صبابة وغرامًا يخرج من قلب ظاهر وفكر سليم فيرن منها في اذن فاسدة ثم لا يتعداها الى ذلك القلب الاثيم وهو يحسب انهُ يهز فؤادًا

حساساً وانهُ يغازل نفساً طيبة وان كل ما يخرج من قلبهِ يقع في قلب نظيره صبابة وهياماً وفاته ان الجالسة امامهُ تمثل الخداع والغش عليهِ وانها لا يكلمهُ الاَّ لسانها ولا تنظر اليهِ سوى عينيها ولا يبلغ كلامهُ الى ابعد من اذنيها وانها تموت عليهِ ضحكاً وهو يموت عليها غراماً وتعكس معاني اقوالهِ صدى مقلدًا بعد ان تصلها صوتاً حياً يخرج من اعماق القلب وتنطق بهِ شفاه الضمير وانها آلة مرنة تلتوي تحت غمز انامل فيحسبها قد اطمأنت على الشكل الذي يريد ثم لا يلبث ان يتركها حتى تعود الى مثل ما كانت عليهِ . فيناجيه لسانها بالحب وقلبها لا يدري شيئاً مما تقول وتلقي عليهِ مقلتاها نظرات الهوى ونفسها بعيدة عن تلك النظرات وتذوب اقوالها لديهِ رقة وصبابة وفؤادها من وراء ذلك اقسى من الجلمود ونعيد مواعيد الامانة والوفاء وفكرها مشغول كيف تسلبهُ وبأية طريقة تخلص منهُ حتى يقوم من امامها وهي تضحك عليهِ ضحك عرقوب وينصرف مسروراً بانخداعهِ وغروره كأن لم تبق حاجة في نفس يعقوب

ولقد كان في امكان ذلك الفتى ان يتقرب من تلك البغي وينال من مودتها ما يريد بأقل من المال الذي يبذلهُ على تلك الصورة وبدون ذلك الغرام الذي يبذل عليهِ ثمرات الفؤاد ولكن الانسان خلق للحب وخلق القلب للصبابة والهوى كما خلقت العين للنور وكما خلق الصدر لاستنشاق النسيم فهو لا يلذ لهُ قرب الغواني ولا بروقهُ دنو الحسان الاَّ اذا كان الحب مقدمة القرب وكانت الصبابة رائد ذلك الدنو والائتلاف وما اطيب بذل المال ينفق في كل سبيل الاَّ في هذا

السبيل وما اغلب قلب المرأة يؤخذ مجانًا وما أرخصه اذا اخذ بالمال الجزيل

فاذا كان على ذلك خلق القلب وعلى هذا فطر الانسان فما بال الفتى يوقف نفسه في هذا الموقف الدني، تحت طائلة الخداع وذلة السخرية والهوان مضافًا اليها عار الجهالة ونقص الادراك ويترك عشرة فتاة ادبية ذات خدر اذا نطق فؤاده لديها يعرف اجابة فؤادها بحروف واذا شعر من لحظها بسيف شهرت من الحاظه بسيوف واذا كان لغيرها من قبلها كانت له وحده دون سواه واذا بسط لديها قلبه وهواه بسطت لديه اصفى من قلبه وهواه اليس ذلك خيرًا من امرأة يحبها فتحب سواه او لا تحب احدًا واذا ناداها لم تجب نداه الاَّ خداعًا ولا يجيبه من فؤادها غير الصدى وهل تستوي الظلمات والنور ام هل تستوي الضلالة والهدى

ملجأ الاطفال

الطفل ثمرة الحب وزهرة الاقتران وزينة الحياة الدنيا والمصباح الذي برسلة الخالق لنور المنزل والسلوة التي ينزلها الله على قلب الوالدين بعد ان يملاَّ من عيشة الاقتران ويسأَما من حياة الوحدة والانفراد بل هو الحب الجديد الذي يدخل فؤاد الوالدة فتشعر منه بعاطفة جديدة هي غير ما كانت تشعر به قبلة من العواطف والوجدانات وهو الوصلة التي يشعر الوالد انها وصلته بامرأته اتصالاً جديدًا فوق ما بينهما من الاتصال

القديم بل هو مقر الآمال التي يعقدها الرجل على قرانه فمتى ظفر به استقرت عليه آماله ووقفت عنده أمانيّ نفسه ولم يعد يطمع من لذة الدنيا بسواه اذ لم يكن يطمع من عتبى قرانه الاّ به . بل هو اللعبة الوحيدة التي تجعل الرجل صبيًا يلعب بها ويرى سعادته معلقة عليها كما يرى الصبيّ سعادته في بقاء لعبته بين يديه . والعزاء الاكبر على ما يلاقيه رب المنزل من شقاء الدنيا ونكد الايام ومتاعب الحياة فاذا حمل ابنه بين يديه ذهبت عنه كل اكداره وهمومه وشعر انه الفى كل اثقال قلبه على ذلك الطفل الصغير فاحملها عن والده باسمًا مسرورًا وهو لا يحس منها بمثقال ذرة

ذلك هو الطفل الذي خلق ليكون مهادة الحر بروسر به الصدور ومرآته ابتسامة امه وابيه وليكون حلية على صدر امه تفتخر بها اكثر ما تفتخر بغوالي الحلي والجواهر وتتراءى به الدنيا ماثلة على ذراعي ابيه ينظر اليه مسرورًا كأنه ينظر الى كل حياته محمولة على يديه ذلك هو الطفل قد خانت الايام بعض افراده وعبثت مصائب الدهر بكثير من آحاده نعني بهم اطفال الازقة واولاد الفقر وصغار اليتم والشقاء الفتهم ايدي المحنة والهناء من احشاء امهاتهم فطرحتهم عوامل الذلة والفقر في مطارح البؤس والاحتياج فاستعاضوا عن صدور الامهات بتراب الطرقات ولاقوا بعد احضان الآباء احضان الفاقة والشقاء فاقاموا في زوايا الشوارع وقوارع الطرق انضاء فقر وجوع يقرصهم برد الشتاء من خلال اثوابهم الممزقة البالية وتعضهم حرارة الصيف على رؤوسهم المكشوفة العارية وهم تائهون في بحر الحياة لا يعرفون اكدارها اذ لم

يعرفوا صفاءها ولا يحسون بشدتها اذ لم يحسوا قبل ذلك بلينها وكان ذنبهم بداءة غرام ولوثة عشق خامرت والديهم فسقط عقابها عليهم او حادثة فقر وفاجعة موت اصابت احد ابويهم فوصل اذاها اليهم فكانوا هفوة من هفوات الانسانية تجب مداركتها على الانسانية وسقطة من سقطات المدنية الجديدة يجب ان يتلافى عواقبها رجال المدنية

فاذا كانت الام قد اذنبت وهي انسانة افلا ينبغي ان تتحمل ذنبها الانسانية واذا كان الوالد قد اغوته مدنيته الحديثة على ارتكاب هذا الجرم افلا تقع جريمته على عاتق المدنية . ومن هي الانسانية لتحمل ذلك الذنب اليست هي الامة بتمامها ومن هي المدنية التي أباحت مثل هذه الغواية اليست الحكومة فيها وضعته من قانونها ونظامها . اذن فاذا اخطأ بعض الانسان وقد تعذر ان يتلافى خطآءه بنفسه فقد وجب ان يتولاه عنه جميع الانسان . واذا وقع الذنب على بريء طفل ثم اختفى والداه فهل تختفي من الدنيا الرأفة والحنان معاذ الله ان في الناس قلوبًا رحيمة وانفسًا حساسة وضمائر شفيقة لينة قد رأت ضعف الاطفال وسمعت دعاء الانسانية وبلغ صميمها صوت الرأفة ان لم يكن من طريق الآذان فعن طريق العيان واذا لم يضرع اليها الطفل بلسان مقاله فقد ضرع اليها بظاهر فقره ولسان حاله فتألفت له الجمعيات الخيرية واقيمت لاجله المدارس والمستشفيات المجانية وامتلأت عواصم اوربا بلاجيء الصغار ومحلات الاطفال تلقيهم يد القساوة من آبائهم فتلتقطهم يد الرافة والحنو من مواطنيهم واخوانهم وقد شعر الانسان هناك ان شر المصائب مصيبة هذا الطفل الذي لا يقدر ان يدافع عن

نفسه بلسان فجادت له اكف المحسنين بما يرد لهفته ويحفظ حياته اولاً للانسانية وثانياً لخدمة الاوطان

ولقد جرت حكومة مصر الى جانب الحكومات المتمدنة شوطاً بعيداً في نظام بلادها ومدنية اهلها وترتيب امورها وتلافي كل خلل تقدر على ملافاته من ابنائها الا في هذا الامر المهم الذي هو عماد المدنية وقوام العمران ودليل الانسانية والرحمة والحنان فانها لم تلتفت اليه اقل التفات ولا خطر لكبار رجالها ببال مع انها ترى الاطفال الوفاً في طرقاتها شاردين مهملين يسيرون حفاة عراة ويدرجون على اسوإ الاخلاق واشد المخازي والمعايب فلا تنظر الى ناديهم نظرة ولا تمد الى شقائهم يداً وهي تعلم ان من وراء ذلك صغاراً يصبحون فتياناً وفتياناً يكونون لصوصاً وارباب دعارة وقطاع طريق ولطخة فساد وعار في جبهة الحكومة المصرية والامة الشرقية العربية . بل جلّ ما وصلت اليه الحكومة انها انشأت لهم سجوناً تعاقبهم فيها بدلاً من ان تفتح لهم مدارس تهذب اخلاقهم بها وسنت لهم قانون قصاص تعاقبهم على مقتضاه بدلاً من ان تسن لهم قانون رحمة لتلافي مستقبل حياتهم فيه . فوضعت بذلك سوء الغاية امامها قبل ان تضع حسن البداية بين يديها واستعدت لمعاقبة المذنب منهم قبل ان تستعد لملافاة ذنب البريء بينهم وترصدت منهم للذنب تعاقبهم عليه ولم تترصد للاحسان والخير تدرج بهم على طريقه فكأنها بذلك تعدهم للشرور والمفاسد وسكنى السجون بدلاً من ان تعدهم للاصلاح والاستقامة ونفع الامة والبلاد

فالى هذا الامر الخطير ننبه انظار الحكومة ورجالها الفضلاء الذين

كلهم رجال رحمة وشفقة ان لم يكونوا كلهم آباء يعرفون قيمة الابناء والى هذا الواجب الانساني العظيم نحرك قلوب مواطنينا الاغنياء الذين يؤلفون الجمعيات الخيرية لكبار المعوزين فكيف لا يؤلفونها لصغار الفقراء واملنا ان لا تضيع بين الحكومة وابنائها هذه الآمال . فيصل الى قلوبهم نداء الانسانية والوطنية وان كان خارجاً بصوت ضعيف من افواه الصغار والاطفال

« تمّ الكتاب »